من كلمة أهل أى family فاننا حين نقولها للقادم نقول لقد صادفت أهلا مما يدل على اعتزازنا بهذا القادم فننزله منزلة أحد أفراد الأسرة ، والشاب يسمع منى وقد بدا عليه الارتياح لهذه الخصلة فى الشعب العربى فكان كلما رآنى — وهو لا يعرف اسمى — يقول : مستر أهلا .

اليونان (بيريه) :

وفى المساء تعلن مذيعة الباخرة أننا سنمر فى الصباح بقناة كورنثيا هذه القناة التى أعجبتنا ليلا نحرص على أن نراها أيضاً بالنهار ، وقد رأيت السياح الأجانب والمصريين كلا منهم يجتهد أن يأخذ مكانا مناسبا من الباخرة لتتضح له الرؤية .

شقت القناة سنة ١٨٨٠ م فى برزخ كورنثيا الضيق الذى يصل شبه جزيرة المورة بباقى اليونان طولها نحو ست كيلو مترات قطعتها الباخرة فى نحو نصف ساعة .

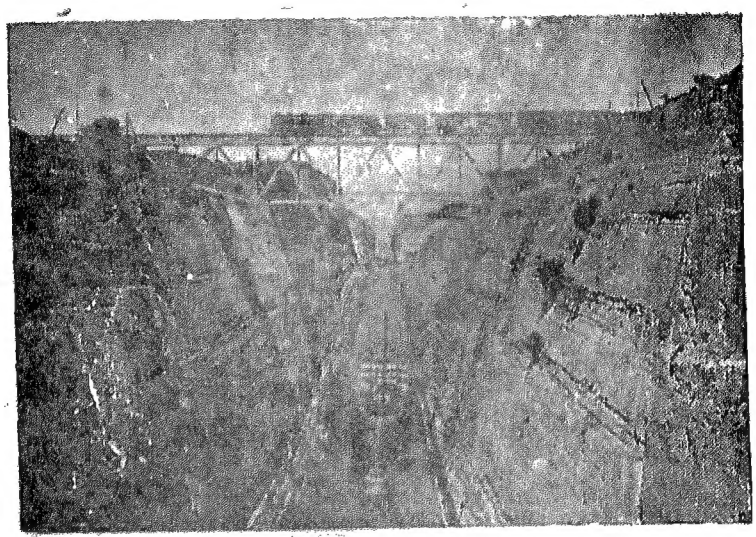

قناة كورنثيا

إن منظرها بالليل – فيما أرى – أجمل منها بالنهار فى جانبيها الصخريين اللذين تنبت عليهما بعض الشجيرات ويربط بين الجانبين جسر تمر عليه السكة الحديدية والسيارات .

ولئن شقت القناة لتيسير الملاحة للسفن الصغيرة لكى تتجنب الصخور وتنأى عن العواصف فى جنوب المورة ولتقصير المسافة بين الساحل الغربى لليونان وسواحلها التى على بحر إيجة ، فان الفائدة سياحيا لهذه القناة لايمكن إغفالها .

وبعد ساعتين ونصف من المرور من القناة رست الباخرة بميناء بيرية فى التاسعة وأربعين دقيقة صباحا ، ومن المقرر أن تغادر الباخرة الميناء الساعة التاسعة ، مساء اليوم نفسه وهذه أطول فترة تبقى فيها بميناء طوال الرحلة ، ولاعجب فالباخرة يونانية ، والبحارة يريدون أن يقضوا فى بلدهم فترة مناسبة ، ولعله قصد أن يتاح لأعضاء الرحلة فرصة كبيرة لمشاهدة المدينة ذات الطابع الديمقراطى النقابى ، وتقدمها المستمر .

لقد كان أول غرض أن أزور المحطة البحرية الجديدة التى تضم الجوازات والجمرك . إنه بناء فخم ضخم ، ولكن مبنى الجمرك لم يكن قد استخدم واستخدمت مكاتب البرق والتليفون .

ثم التجوال فى شوارعها إنها نظيفة ، القامة ملقاة فى أكياس نايلون كما هو الشأن فى إيطاليا ، تتمتع بالهدوء فيما يبدو .

هذه مقاه مليئة بالجالسين . إنهم من أرباب المعاشات فيما أظن ، فالساعة الحادية عشرة تقريبا أى وقت عمل أو لعلهم ينتظرون عملا فى المقهى .

الرغبة فى شراء الهدايا أخذت حظها فى النفس ، فقد كدنا نصل الى الاسكندرية ولما أشتر شيئاً ذا قيمة تقريبا فى الموانى السابقة .

بم تشتهر اليونان ؟ انها زراعيا قليلة المساحة وأهم غلاتها الزراعية الطباق والزيتون والفواكه مثل التين والعنب البناتى - كما نسميه فى مصر - وهو يزرع عند خليج كورنثيا ويجفف إلى زبيب ، ويسمى بالإنجليزية currents مأخوذاً من كلمة Corinth اسم الخليج بالانجليزية .

فاشتريت زبيباً وتيناً مجففا وقراصيا بكميات متواضعة ووضعتها فى حقيبة اشتريتها من اليونان أيضا وهى مشهورة بدبغ الجلود .

وتوجهت الى الجمرك لأعرض فتح الحقيبة على حرس الجمارك - كما نفعل فى مصر - فاستغرب منى أن أفتحها فذهبت إلى موظف آخر فلم يكن أقل استغرابا . . كل ما طلبه أن أطلعه على جواز النزول الى الشاطىء .

وينتهى يومنا الأخير فى هذا الميناء لتواصل الباخرة عبورها مارة بجزيرة كريت ، نحن فى اليوم الثالث من الشهر العربى . . رمضان المعظم نتناول طعام السحور وكلما اقتربت السفينة من الإسكندرية زاد حنيننا إليها . . عيوننا لا تطاوعنا على النوم ، نريد أن نرى أثراً ولو من بعيد يدل على بلادنا كان معنا شاب مسافر من مصر وأقسم ألا يعود فاذا هو يعود .

تنتهى الرحلة فى ٢٥ / ١٠ / ١٩٧١ قد تغيب المناظر . ويغيب الأشخاص ويبقى أن بلادنا لا تقل روعة عن الموانى التى زرناها واستمتعنا بها ، إنها كنوز أثرية يجب أن تنفض عنها غبار الأهمال ويطلع عليها الناس جميعا فى فهم عميق ولا بد أن نبنى المستقبل امتداداً لماضينا العظيم .

المقالة الثالثة

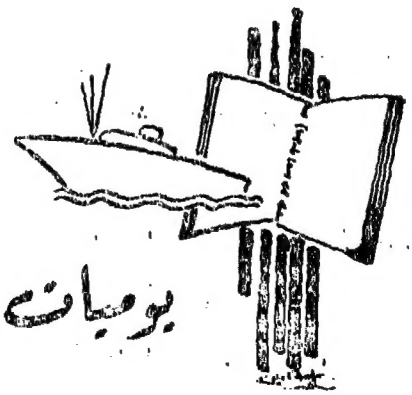

يوميات في الميناء

«ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير».
الحجرات ١٣

يوم ... قبل السفر :

أعلنت شركة الملاحة عن عشر رحلات حول البحر الأبيض المتوسط تبدأ أولاها أواخر مايو وآخرها في ٢٥ سبتمبر ١٩٧٢... فقلت في نفسي. أجرب البحر في ٥ يوليو لمدة ١٥ يوما ، وتم الحجز داعيا الله التوفيق للخير أينما كان ووقتما كان .

ما أن يعلم الاصدقاء والمعارف بالسفر إلى الخارج حتى يطلب أحدهم أو إحداهن شراء أي شيء له. كاميرا. باروكة . دواء للروماتيزم أو الصداع دون أن يعرف الامكانيات المادية للمسافر ، وقدرته على كثرة الاحمال أو اقتناعه بها ولهذا ربما كان من الأوفق عدم إعلان السفر إذا خشي الإحراج .

اليوم الاول :

بمدخل صالة جمرك الركاب بالإسكندرية فيظن بعضهم أني منتدب للعمل به ، ولايكاد يصدق أني أحمل حقيبتي للسفر فينهض زميل بكتابة الأقرار

مبالغة فى الحفاوة والثقة ثم أوقعه له ... وتتم الاجراءات فى سهولة ويسر للمسافرين عامة .

يتأخر وصول الباخرة فننتظر ساعات وقد قيل فى سبب ذلك أنها اصطدمت فندمرورها بقناة كورينثيا إذ لايكاد يبقى شبر فراغ عند مرور الباخرة منها .

ومن الركاب الذين نزلوا منها سيدة تستقبلها أخرى على الرصيف بعناق طويل حار ... لقد تصورت أن بحقيبة يدها شيئاً تخفيه ، وأن الخفية ستبدل بها حقيبة الأخرى فانتظرت مليا ولكن حديثاً طويلا جرى بينهما وأعطيت الاوامر لنا بصعود الباخرة قبل أن ينقضى الحديث ... ترى هل أستطيع أن أنسى وظيفتى ... أو أنها ستغلبنى على أمرى فى رحلة لاتخلو من الشوك ؟

الدرجة السياحية بالباخرة تبدو سيئة فتضج بعض السيدات فيستجيب الأزواج لفرق الثمن للدرجة الأولى لهن ويظلون هم بالسياحية غير أنى أرى أن التكيف مع الأجواء الجديدة من حيث الأكل والنوم وعادات القوم جدير بأن يكسب القائم برحلة متعة التجديد .. وبعد نصف ساعة من قيام الباخرة يبدأ دوار البحر شديداً على من لم يجربوا البحر وكأنه اذير بأن الرحلة جميعاً دوار ولكن الرحلات كالكتب قد لايكفى أن تقرأ صفحة لتحكم على الكتاب جميعاً .

اليوم الثانى :

مضى هذا اليوم يسأل بعضهم بعضا عن حاله بالأمس ، وتبدأ دائرة التعارف فى الاتساع ، وفى لقاء التعارف تسألنى سيدة عن مهنتى فقلت : ماذا تظنين ؟ قالت : طالب . أجل الأمانى عندى أن أكون طالب علم حتى الوفاة

فرددت: هو كذلك . ولكن ماذا لو علم أنى مأمور بالجارك ؟ النتيجة فقد الثقة بقولى فيما بعد وقد يظن بعض أنى فى مهمة رسمية للابلاغ عن المهربين، فلا ذكر صراحة مع التلطف الذى يكسب الأصدقاء .

ها هى الباخرة تتجه شمالا إلى جزيرة كريت أكبر الجزر اليونانية التى إشتهرت فى التاريخ بقصر النحيه أو اللابرنت ومشرعها مينوس .

اليوم الثالث :

ترسو الباخرة بميناء بيرية .. على الرصيف المجاور الباخرة المصرية « سوريا » والنسر العربى يحمى جوانبها . شىء تغتبط له بحق ، ونستقل السيارات إلى أثينا العاصمة لنزور أشهر آثارها معبد الاكربول حيث عديد من السياح من مختلف الجنسيات كل يحمل كتابا ليعرف تاريخ كل جزئية ووصفها العلمى ، وملحق بالمعبد متحف يضم بعض التماثيل رمزا للحضارة الأغريقية :

الشابات العفيفات

وفى العودة تقف السيارة عند محل لبيع المصنوعات للسياح من البائعين فيه طلبة جامعيون من مصر، وظاهرة وجود المصريين والعرب عامة لافتة للنظر فى اليونان وثمة مقاه متجاورة كأنها خصصت لهم .

وكنا نود لو نعرف شيئا عن أخبار بلادنا ، وقد وجدنا جريدة «الأهرام» فقط بثمانى درخمات «والانوار» اللبنانية .. إنها الرباط الثقافى الذى يشد العربى فى غربته إلى بلاده فضلا عن أنها ترد على بعض المزاعم التى يرددها العدو ، ولقد وددت لهذا لو تكثر الصحف العربية فى بلدان أوروبا .

وبعد تجوال انتهى بى ورفيق من الرحلة إلى مقهى وما أن طلبنا الكوكا كولا وأحضرها النادل حتى طلب ثمنها قبل أن نشربها .. تصرف فردى أم ظاهرة لا نجدها فى مصر حيث يجلس « الزبون » ساعات ثم هو الذى يطلب النادل لينقده الثمن ؟.. ولعل للنادل اليونانى عذره أو وهمه بأننا سنقوم عن المقهى خلسة .

ونعود إلى الباخرة لنحس فرقا كبيرا بين بيرية وأحيائها من الاسكندرية ، أن الاحساس بعدم وجود فارق معرفة لها لذتها ، وليس شرطاً فى الرحلات أن ترى كل ماهو مغاير لما فى بلدك .. هذه الفكرة تغيب عن الأذهان فتنغص على بعض الأفراد حياتهم فى الرحلات .

اليوم الرابع :

يزداد التآلف بين رفاق الرحلة وإذا كان الشاعر العربى يقول :

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

فان صلة نسب الغربة قد ربطت كل فرد بالآخر وليس بجارته فقط إلا

ما قد تجد من نظرة غيرة من سيدة لأخرى ، أو رغبة غـــير معلنة في شراء الجديد الذي لايتاح للآخر معرفة المحل ليشتريه منه .

وقد تميزت الرحله بكثرة الأطفال رغبة من الأمهات في احتضان أبنائهن والأطمئنان عليهم وعندي أن الطفل قلما يدرك قيمة الرحلة وفلسفتها بل أنها قد تضره إذا لم يركز الآباء على المعايب الصارخة وبيان العلاج الصحيح لها ، فالشاب الذي يرقص مع صاحبه بالباخرة وأثر الشهوة في عينيه ولمسات يديه صورة سيئة للطفل الناظر إليه إذا لم تذكره بأن الرقص المبذل يدل على فراغ نفسي وشعور بالضياع .

اليوم الخامس :

تصل الباخرة نابولي [1] وهي تقع على خليـج نابولي الجميل ومنها قصدنا جزيرة كابري بمركب آخر حيث المدة ساعة وقليـل يطالعك في البـدء بركان فيزوف أو vesuvio الذي تشتهر الأراضي المجاورة له بالخصب للموالد المنصهرة التي تخرج منه .

يقف المركب فترة وجيزة في سورنتو Sorrento جنوبا وهي شبه جزيرة صخرية ممتدة من جبال ابنين وقد اقتطعت منها كابري بارتفاع ٥٦٠ مترا [2] منظر رائع للانطباعة الأولى خاصة .

---

(١) أسس هذه المدينة منذ قديم الأغريق وأسموها نيابوليس Neapolis أي المدينة الجديدة ، والراجح أنه حرف الاسم إلى نيابولي - حيث تنتهي الاسماء عند الايطاليين بحرف متحرك - ثم نابولي .

(٢) مشاهدات سائح في الممالك الأوربية ص ٧- عبدالوهاب أبوالعنين ، ط . الحديثة بالقاهرة .

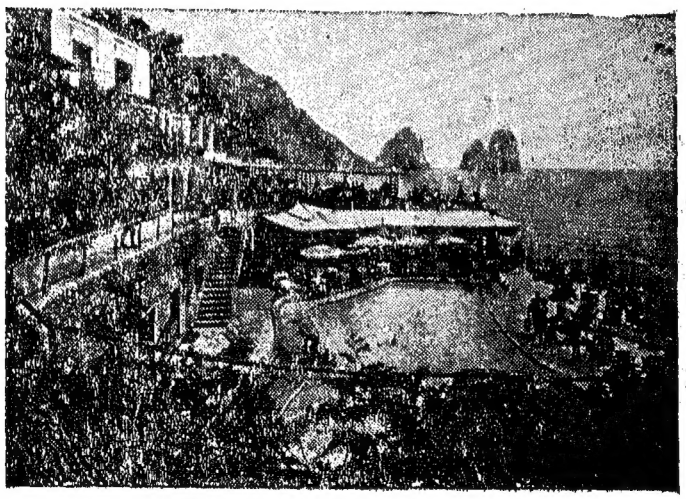

كابرى

ثم اتجه المركب الى المغارة الزرقاء GROTTA AZZURRA وهى مغارة مائية واطئة الارتفاع عند المدخل حتى ليضطر الراكب فى قوارب صغير أن يجلس أرضا بدلا من مقعد القارب ثم ينتصب طولا بعد المدخل وفيه تبدو المياه صافية الزرقة جداً، طولها نحو ١٧٥ قدما وعرضها نحو عشرة أقدام[١].

اليوم السادس :

نمضيه كله بالباخرة ، بعضنا يتحدث في شئون عادية ، وقد سمعت أن مغارة لبنان أروع من تلك فى كابرى ، الأمواج تعلو وتهبط فتلجأ بعض السيدات والأطفال إلى ترانيم دينيه عملا بما نسب إلى السيد المسيح غنوا ونموا ولكن الباخرة كأنها تزداد طربا فتزداد اهتزازا ونسمع من يقول إذا كان تمايل الباخرة

---

(١) جولة فى ربوع أوروبا بين مصر وأيسلندة ص ٢٤ ـ محمد ثابت ، ط . الرحمانية بمصر ،

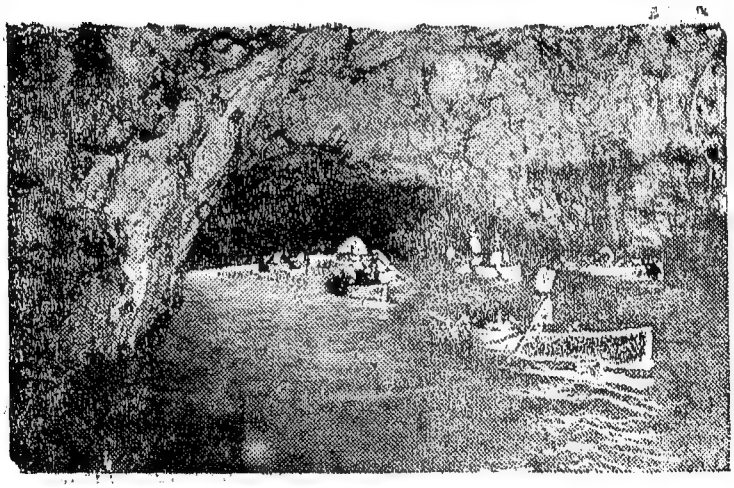

المغارة الزرقاء

من المقدمة والمؤخرة فلا خوف ، أما إذا كانت على الجانبين يمنة ويسرة فربنا يستر ، وفى أمثالنا « أعطنى عمراً وارمنى البحر » ولكن هذا المثل قلما يخطر بالبال فى وسط البحر حقيقة.

اليوم السابع :

ها هى مرسيليا . بعد زيارة الكنيسة الحارسة . . ويبدو أنه لأثر دينيا له قيمتها بالمدينة ـ يتجه الفوج إلى المحلات العامة للشراء ، لقد كان فى تصور بعض أن المحلات تهتز كما كانت الباخرة أمس . . الأسعار تبدو مرتفعة ولكن لايشك أحد فى جودتها إذن لا بأس من الشراء القليل .

نظرات علوية عابرة على الكورنيش . الجو ليس غريبا تماماً ، فهو يشبه اسمانلى أو محطة رشدى بالاسكندرية فى بعض الأحيان ، وهو فى نظر بعض يشبه بلطيم .

وعند عودتى إلى الباخرة أتوسم فى بعض المارة معرفتهم اللغة العربية فأسألهم عن الطريق اليها فيجيبنى بعضهم بعربية مكسرة . . إنهم جزائريون

عرب ولكنهم لايفهمون عني ولعلهم يصفون لهجتي كما وصفت لهجتهم ، فألحظ رجلا زنجي البشرة وأكلمه الانجليزية ، ولكنه لايعرفها فيصطحبني إلى بار قريب فاذا فتاة به تطلع في صحيفة في باب بها باسم « أخبار الميناء » فنعرف أين ترسو الباخرة وتخبرني ويتطوع الزنجي أن يوصلني بعربته ، وركبت معه .. خلق حميد دعاني أن أعرف جنسيته وقد حسبت أنه من جنوب أفريقيا ولكنه قال : فرنسي ولد بفرنسا ثم هو يسألني : أأمريكي أنت ؟ فقلت : مصري ، وفي ذهني قد يختلف لون الناس ولسانهم ويبقى الإنسان فهيم إذن يحارب الناس من أجل عصبية ضيقة ؟

وعند الميناء ألتقي بشاب مصري يتدرب على أعمال الجمارك بفرنسا فيخبرني أنهم يأخذون بالإقرار الشفهي وأن في مطار باريس بابين يدخل من أحدهما من لايحمل شيئا يستحق الضريبة ، ومن الآخر من يخضع لضرائب[1] وأسأله ماذا يريد من مصر فيرد : أن تبلغ سلامي إلى أقاربي . الرابطة الأسرية قلما يوهن من عراها بعد المسافة ، بلى وعلى رصيف الميناء تتم خطبة شاب مصري يدرس الدكتوراه في فرنسا بفتاة من الرحلة .. جميل ألا تذوب الشخصية المصرية بتقاليدها الأصيلة في بلد أجنبي فيه كثير من مغريات الجنس .

وبرغم أن الانسان لايمكنه إنكار التقدم الحضاري لدول أو ربا عامة فان التفاوت بين الناس ملحوظ ، ففي مرسيليا من يمد يد السؤال ، ومن يعزف بالاوكرديون يقصد التسول ، وقد علمنا أن أسماء هؤلاء المتسولين مسجلة بسجلات الحكومة ، وبعضهم من مشوهي الحرب لايشاركهم في هذه المهنة دخيل والا تعرض لمطاردة السلطات المختصة ، والفرق بين المتسول الفرنسي وبين زميله في مصر نظافة الملبس .

(١) أتيح ذلك النظام في مطار القاهرة الدولي فيما بعد .

ومن المناظر التى تشد الانتباه فى مرسيليا بينما نراه مألوفا فى قرى مصر حمار أسود – لعله الوحيد – استغله صاحبه لعرض البضائع فوقه فى شارع كبير أمام محل Baze لقد حلت السيارة محل الحمير ولكنك تشاهد السيارة فلا تثير عندك ما يثيره شكل الحمار إذ يقف كأنه مغلوب على أمره ، عينه على الأرض إن شعور الشفقة قد يغلب الإنسان فى هذه اللحظة .

اليوم الثامن (جنوا) :

فى الصباح نتراكى الباخرة فى جنوا وهى مدينة تقع على خليج جنوا جنوبى جبال ابنين The Apennines وتمتد ٧٥ ميلا على ساحل البحر الأبيض المتوسط فهى تدخل فى نطاق الريفيرا الايطالى .

وهى تمثل الرأس الجنوبى للمثلث الايطالى الصناعى حيث يمثل الرأسين الآخرين ميلانو وتورينو وبرغم شهرتها ببعض الصناعات كالآلات الهندسية والصابون والمنسوجات فان السياحة تعتبر صناعة هامة تنطلق من جنوا وهى أجمل فى نظرى من نابولى وأكثر عمارة بالفنون ، عدد سكانها نحو تسعمائة ألف وبها شوارع ضيقة ترجع إلى القرن الثانى عشر الميلادى .

إن موعدنا شاطىء بورتوفينو وهى مصيف عالمى على بعد ساعة وربع من جنوا بالسيارة السياحية . فى الطريق تشاهد ميدانا به أوبرا ، وتمثال غاريبا لدى (١٨٠٧ - ١٨٨٢ م) .. ، نافورة ، البورصة . هذا ميدان آخر فيه تمثال يمجد الذين سقطوا فى الحرب العالمية ، الشعلة المضيئة أمامها حديقة نقش الزرع فيها بواخر تحية لكولمبس .

بعد جنوا مدينة « دورياست » حيث شارع قديم من العهد الرومانى ، وأسفل خط سكة حديد من بيزا إلى روما .

ثم مدينة بيرلى pierlli ويذكر هذا الاسم على بعض مصنوعات المطاط كالمساحة وإطارات السيارات ، ثم خليج الجنة ونرى شجرة « سيبرس » وتسمى الابدية إذ تعمر خمسمائة سنة وهى تشبه الصنوبر .

ثم مدينة جديدة كان الحلفاء قد دمروها فى الحرب العالمية الثانية ولم يبق من بيوتها القديمة غير ثلاثة (١) .

ونلحظ أن بجوانب التلال مدرجات غرست أشجاراً ، القسطل على المنحدرات ذات الانخفاض الكبير ، والاشجار المخروطية على المنحدرات المرتفعة عنها .

هناك مدرسة للملاحة فى مكان حيث المياه عميقة بالبحر ومحطة تليفزيون. ويسمى البلد « كازامولیا » أى بلد السعادات لأن أزواجهن يقضون حياتهم فى البحر وقد ذكر المرشد أنه وزع فى احتفال أقيم فى آخر مارس ١٩٧٢ نحو خمسمائة كيلو سمك مجانا . الجبال هنا تسمى ابنين كما تنطق بالإيطالية. ثم مدينة القديسة مرجريت .

ومن الآثار التاريخية على الطريق قصر الملك فرنسوا الأول سنة ١٥٢٥ بعد أن خسر المعركة مع الاسبان .

وقد مررنا بشاطىء آخر يدعى « ماراجى » ونلحظ الهدوء والوداعة سمة غالبة على هذا الشاطىء وبور لوفينو وربما كان السبب النظرة على البعد. أو بعدهما حقيقة عن المدن العامرة بالسكان .

---

(١) شبيه بهذا كنيسة « القيصر فيلهلم » فى برلين الغربية حيث تقف هذه الكنيسة وسط المبانى العصرية الأنيقة تحمل آثار القنابل والنيران التى ألقتها أساطيل الحلفاء الجوية خلال الحرب العالمية الثانية . .

الأهرام فى ٢٣ / ٧ / ١٩٧٤ .

اليوم التاسع (نابولى) :

تتجه الباخرة جنوبا بمحاذاة الساحل الإيطالى إلى نابولى حتى إذا مارست بالميناء كانت الرغبة ملحة فى التجول بالمدينة فليس ثمة براجع محددة لزيارة ما، الملابس خفيفة إذ أن الصيف يتميز بالحرارة طول امتداد الساحل . وفى نابولى ٢٤° مئوية .

وبرغم أننا نقترب من منتصف يوليو فان المطر يسقط بغزارة الشتاء نحو ساعة مع شىء من البرودة لقد ضايق هذا البعض ولكنى سعدت به لغرابته بالنسبة لجو مصر .

الطرق معبدة ليس فيها حفر تكون مستنقعات . واللافت النظر أن الايطاليين اشتهروا بانشاء الطرق المعبدة منذ عهد الرومان ولايخفى أن تعبيدها بجودة مما يخدم السيارات التى تشتهر بها إيطاليا (١) .

وقد قيل أن ٥٠٪ من الايطاليين يملكون سيارات خاصة ومما يتصل بهذا الصدد أننا لاحظنا احترام قادة السيارات للمشاة. إذ تقف السيارة على بعد أمتار لتتيح للسائر أن يعبر الطريق فى أمن . وقد ساعدت الأنفاق على تخفيف حدة المرور بوجه عام .

إن جو المدينة «المادى» - إن صح التعبير - يوحى الزائر أول مرة بمبانيها الضخمة أنها مدينة تجارية ، وهى كذلك إذ يوجد بها مصانع للآلات الهندسية

---

(١) ومنها «فيات» اختصارا لأسم المصنع بالإيطالية .

Fabrica Italiana Automobili Torino

والجلود والقطنيات والجوت وإعداد المواد الغذائية كعلب الخضر والطماطم وصناعة المكرونة وإستخراج الزيتون فضلا عن مصانع لتكرير البترول وأحواض لبناء السفن .

اليوم العاشر :

لقد بدأ الركاب يلبسون الجديد كأنما للاطمئنان إلى شهادة الغير بحسن اختيارهم وتحاشيا لدفع الضريبة الجركية عنها عند العودة إلى مصر .

حديث ذو شجون عن انطباعات المشاهد إلى نابولى . قد يراها البعض عادية أو يتوقع الملل من البقاء فيها كثيراً . ويراها آخرون أنها الحياة .

لقد حكى بعض الرفاق ماشاهدوه من مناظر مؤذية وتدل على الفقر فى بعض الأحياء من نابولى ويتساءلون لماذا لم نلتقط هذه المناظر صوراً فوتوغرافية كما يفعل السائحون عند قدومهم مصر إذ يعمدون إلى التقاط المناظر غير المستقيمة .

وعندى أن العربى إذ يلتقط أحسن المناظر فلكى يعتز بها فى نفسه . أما السائح الذى يلتقط أسوأ المناظر فى بلادنا فانما يعبر عن نزعة عدوانية أو قل استعمارية .

وينبغى ألا نعيب على سائح التقاط منظر مؤذ مادمنا لم نعب على أنفسنا عدم إزالته . فما نراه من مناظر فى أوربا ولبنان يوشك أن يضيع بهاؤه وجماله إذا غطاه غبار النسيان أو الإهمال .

والمناطق الجبلية المزروعة والمنسقة فى إيطاليا مثلا تثير بهر الصانع فى المرة الأولى خاصة غير أننا نظن أن الإيطالى فى زيارته لمصر قد يبهره انبساط سطحها وعندنا من الجبال مثلا المقطم وينبغى العناية به وبالمناطق السياحية فى طول البلاد وعرضها .

وأهم من التنظيم السياحى تغيير السلوك البشرى بما يدعو إلى الاعجاب والاحترام للفرد والجماعة على السواء فى الداخل والخارج .

لقد رأينا المحلات الكبيرة مثل ستاندا وأويم فى إيطاليا . وباز فى مارسيليا تقوم على اختيار المشترى للمشتريات ثم التوجه بها إلى الخزينة للدفع حيث يستغنى عن البائع فى أكثر الأحيان .

الباخرة لاتزال تشق طريقها وأتمثل بيت الشاعر :

تلك الطبيعة قف بنا ياسارى حتى أريك بديع صنع البارى

الله أكبر . لقد خلقت الجمال يالهى لتنطبع نفوس الناس به فلم يلتفت إليه أناس وانحصروا على أنفسهم فى ظلمة مقيتة ليشدوا غيرهم إلى هاوية الرذيلة غيبة ونميمة .

قبل الثامنة صباحا ، شمس طالعة من جهة وغيوم من جهة أخرى ، والمطر ينزل رذاذا وقوس قزح كأنه قفز من سطح البيوت على جزيرة بمرأى البصر ليلتقى طرفه الآخر بالبحر ... وتنتهى الحياة فى الدنيا . وفى وقت صلاة الجمعة يؤدى المصلون الصلاة جماعة على ظهر الباخرة بعد خطبة قصيرة .

اليوم ١٤ يوليو وهو يوافق العيد القومى لفرنسا يحتفل الفرنسيون فى الباخرة به بينما احتفل المصريون بطريقتهم الخاصة وكانوا بين الحين والآخر

يقولون Vive La France أى تحيا فرنسا ولا أحد من الفرنسيين يسمعهم ولكنها روح المحبة بين البلدين تملى على أهل مصر سلوكهم .

اليوم الحادى عشر (بيرية) :

واصلت الباخرة سيرها عبر البحر مارة بمضيق مسينا ثم جنوب اليونان مارة بقناة كورنثيا حيث العمق ٢٤ قدما وأعلى موضع ٢٢٠ قدما . وتذكر المذيعة بالباخرة أن أول يخت مر بالقناة كان للملك جورج واليوم نرى أن ٢١ أبريل ١٩٦٧ هو تاريخ الحاضر الذى تعيشه اليونان معلن على الجدران (١)

مررنا بالقناة من الساعة ٦ر٤٥ ص إلى ٧ر٣٠ص بحسب من العمر بحق. تصل الباخرة ميناء بيرية لقد قرر القبطان إجراء إصلاح فى المحرك . ولهذا ستمكث بالرصيف اليونانى يومين وليلة . أتوجه لاستطلاع العمل بمحرك

---

(١) أعلنت الجمهورية رسمياً فى ١٩٧٣/٧/٢٩ برياسة بابا دوبلوس حتى وقع الانقلاب العسكرى فى ١٩٧٣/١١/٢٥ وأعلن أن الجنرال فيدون جيز يكس تولى رياسة الجمهورية . أما ٢١ أبريل ١٩٦٧ فهو يوم نجح بعض الضباط فى الاحاطة بحكومة كانيلوبولوس وأعلنوا أن هدفهم منع سقوط البلاد فى أيدى الشيوعيين وأبقوا على الملك قسطنطين وألغوا دستور ١٩٥٢ ، وقد حاول الملك فى ١٩٦٧/١٢/١٣ القيام بانقلاب مضاد ضد الضباط ففشل الأمر الذى اضطره إلى الفرار من أثينا إلى إيطاليا فى اليوم التالى بعد أن أسندت الحكومة إلى بابا دوبلوس ثم مالبثت الأمور أن تطورت وأعيد الحكم المدنى فى اليونان فى يوليو ١٩٧٤ .

اليونان على قدر الامكان ، نظام التخليص الجمركي يقوم به الحالون . والذي يقوم بتفتيش حقائب الركاب controler خريج كلية التجارة . وقد لاحظت وجود سيدة تقوم بالكشف وعلمت أنها بدل زميل باجازة إذ يقوم بعملية التفتيش المذكور فقط . والغريب أني رأيت أحد هؤلاء العاملين يفتش حقيبة يد لسيدة الأمر الذي لا يحدث بالجمارك في مصر .

جولة قصيرة بالمحلات أشتريت صفيحة زيت زيتون صغيرة . كان لابد أن اشتري شيئا من صنع اليونان خاصة فلم أجد ما يجذبني مثل عروسة وغير بشرية » وتمثال فينوس . وكارت بوستال للاكربول .

ولا بأس أن نركب المترو من بيريه إلى آخر محطة وتدعى كفسيان — بنون خفيفة النطق — وتستغرق المسافة نحو ساعة نمر فيها بمحطات كثيرة منها : تزيان (بها آثار) — أمونيا — فكتوريا — نيا أيونيا — ايراكليون ، (وهي غير ايراكليون الميناء) — أما روسيان (بها بيوت أنشأتها جمعية اليونانيين الذين نزحوا من مصر) .

من بعيد تلحظ شجر الزيتون في بعض المناطق بكثرة توحي بالاهتمام به . وقد علمت أن بعض الاغاني اليونانية تنوه به كما يبدو جبل بندلي وجبل آخر يدعى « ايمتاليو » ومعناها باليونانية القسم — بالكسر — .

حتى إذا ما انتهى المترو إلى موقفه الأخير ينزل الركاب ليسلموا تذاكرهم لعامل المحطة . وقد لحظت أن المفتش لم يراجع كل التذاكر بالمترو وأنما أكتفى بالمراجعة اختيارا .

وفي كفسيان محل كبير « أخوان فارسو » بدأ صغيراً ليبيع اللبن سنة ١٨٩٢م

وتضخم حجمه فأصبح كديليس بالأسكندرية — وبداخله حديقة منسقة وفى كفسيان حديقة رائعة فى النظام والنظافة . وقد ذكرت على بعض الأشجار أسماؤها ليزداد المشاهد علما . غير أنى لم الحظ دورات مياه عامة فالمضطر عليه بالمقاهى وذلك لنقص المياه فى اليونان ... الأمر الذى طالب بعض من أجله بانشاء دورات المياه فى الشوارع خدمة للأجانب .

عودة إلى الباخرة لأطمئن إلى زملاء الرحلة . وأتناول وجبة خفيفة وأتساءل ألم تمطر فى بيريه كما أمطرت رذاذا فى كفسيان فيأتينى الجواب نعم لقد منعنى المطر أن أبقى فيها طويلا برغم طيب جوها فى الصيف . أما فى الشتاء فهى شديدة البرودة .

تكملة الجولة فى بيريه حتى الثانية صباحا وبرغم هذه الساعة المتأخرة فإن العاكسيات كثيرة لنقل الخارجين من البارات أو الحفلات أو السائرين بلاهدف حتى يصيبهم السهر .

من بعيد صاحب جراج لا أكاد أرى أحداً غيره وقد أختلطت على معالم المدينة ... أقترب منه لأسأله بالإنجليزية فلا يجيبنى . إنه لا يعرفها : فقلت له . تولونيا وأقصد به الجرك باليونانية . فلا يعرف لقد أخطأت فى نطق الكلمة ولم يكن عنده وقت ليعرف أن الغريب فى هذه الساعة لا يسأل إلا عن مكان البواخر . أن صحة الكلمة تولونيو . فلما ذكرتها وجدت من يرشدنى .

اليوم الثانى عشر :

فى هذا اليوم توجهنا إلى مصيف «سونيون» وهو يبعد عن بيريه نحو خمسين كيلو متر قطعتها السيارة فى ساعة ونصف تقريباً . حيث استمتعنا بالسياحة

على مياهه الصافية بلا عمق كبير. ويبدو أنه لبعده لا يؤمه غير السياح وبعض ذوى اليسار من اليونانيين .

وقد ألفيتنى أضرب صفحا عن تدوين ما نقوله المرشدة بعد أن بدأت حديثها بأن بيريه ثالث ميناء فى البحر الابيض المتوسط بعد مرسليا وجنوه فعلا صوت الرحلة . الاسكندرية فقالت معهم: نعم الاسكندرية .

هل هو نسيان منها أو النزعة القومية تجعلها تخطىء؟ المهم أنها افقدتنا الثقة ببعض كلامها فى موقعها الإرشادى .

لقد مررنا بشواطىء عديدة لا تتمتع بالرمال كما تتمتع شواطئنا وفرة وجمالا . وأكثر ما يكون استلقاء المستحم أو المستجم على حصى أو صخر لا بلا زحام .

ويلاحظ أن المبانى اليونانية بوجه عام فى مناطق معينة قليلة الارتفاع وقد قرأ لى من يعرف اليونانية فى صحيفة أسبوعية أنه فى المدينة ستغطى واجهات البيوت بالالمونيوم .

الساعة الرابعة مساء موعد إبحار الباخرة . وحديث عن انطباعات الرحلة وكيف تقدمت اليونان فى سنوات قليلة تقدماً ملموساً ويبدو أنها أفادت من ثورة ٢٣ يوليو فى مصر من بعض الوجوه مع الاحتفاظ بصداقة دول غرب أوربا وأمريكا . وأرتفع فيها مستوى المعيشة . فالملاق يتقاضى مثلا ثلاثين درخمة أى أربعة أضعاف ما يتقاضاه زميله بمصر كما حدثنى يونانى أحيل إلى المعاش وهو يعمل فى مصر . وعند زيارته لليونان لفت نظره كثرة بناء الكنائس بما لا يعدله بناء المدارس مثلا معللا ذلك بأن رجال الدين يتقاضون

مرتبات عالية من مراسيم الزواج والجنازة . ولهذا فقد كثر عددهم قلت في نفسي : خير من الإلحاد . وأضاف أن الدولة تعنى بالطفولة عناية عظيمة . فاتجه ذهني إلى مارأيته من كثرة المقاعد والاراجيح على الكورنيش . وأن كان شاركهم في الجلوس عليها والاهتزاز بها الكبار .

اليوم الثالث عشر:

تواصل الباخرة سيرها عبر جزر اليونان . وفي نحو الساعة السابعة صباحا تمر بجزيرة رودس . وقد قيل لنا أن أكثرها فنادق بحيث السائحون كثير . وأجرة الليلة ٤ دولارا أمريكيا . أي تزيد عن عشرين جنيها مصريا . البحر هادىء وفي هدوئه جمال . وفي ثورته أيضاً ، لأنه صادق في التعبير عن الجو المحيط به . وهكذا شأن كل كبير وعظيم ... كالبحر... تشبيه يذكره الناس لاتساع لامحدود ... في الخير والحب ليس غير .

اليوم الرابع عشر : (بيروت)

تصل باخرتنا بيروت بجوار الباخرة المصرية « سوريا » جولة حرة في أنحاء المدينة حسبما يسمح الوقت ، لقد عنيت حقيقة بسوق الكتب ، في لبنان كتب كثيرة ، وصحف وفيرة لانجدها في مصر ، مع أن التجاوب الفكري بين البلاد العربية ضرورة لزيادة المعرفة وصقل النفس وتعميق الوعي . أمام الندو خاصة .

وبعد نحو ساعتين كانت في انتظارنا سيارة سياحة لزيارة مغارة جعيتا ... بعض رفاق الرحلة تخلفوا عن موعدها انشغالا بسوق البضائع فلبنان مغرم بالأصناف العديدة المستوردة من مختلف البلدان .

أما لبنان فيصدر الحرير والفداكه والزيتون .

الساعة تقترب من الواحدة ظهراً كان لابد أن تتحرك السيارة ، تحدثنا المرشدة أن بيروت هي كلمة محرفه عن بيروتا بالآرامية ومعناها شجرة الصنوبر، وهناك شجر الموز وشجر الزيتون «شمال لبنان» . ونصيبها من السكان مليون ونصف تقريباً من عدد سكان لبنان البالغ نحو ثلاثة ملايين ثم تحدثنا عن تقسيمه الإداري وصلة الفراعنة به إذ كانوا يصلون إلى لبنان للحصول على خشب شجر الأرز لصنع المراكب منه .

وقد استوطن المهاجرون الأرمن لبنان وحملوا هويته وعوملوا معاملة اللبنانيين . ويقوم الشعب بانتخاب ٩٩ نائباً، والنواب ينتخبون رئيس الجمهورية لمدت سنوات ويشترط أن يكون مسيحياً مارونياً[1] ورئيس الوزراء لابد أن يكون مسلما سنيا ، أما رئيس المجلس فمسلم شيعي .

هناك أنابيب بترول من السعودية إلى صيدا ، ومن كركوك إلى طرابلس الشام ...

---

(١) شهد لبنان حربا أهلية في أبريل ١٩٧٥ سالت فيها دماء . وخربت الديار والمحلات .. على مدى شهور طويلة ، مما حمل بعضهم على المطالبة باستقالة رئيس الجمهورية « سليمان فرنجية » وبرغم انتخاب غيره فقد أرجأ فرنجية استقالته . وعللت بعض الأقلام موقفه بأنه نتيجة لاتفاق مشبوه بتصفية المقاومة الفلسطينيه ، وتقسيم لبنان أو أنه تعبير عن مصالح طائفة تتصور أن بقاءها لايكون الا باذلال شعب لبنان ليزداد الأغنياء غنى والفقراء فقرا .. مقال عبد المنعم الصاوي .. الجمهورية في ٢٠ / ٥ / ١٩٧٦ .

لاتزال الرشدة تتحدث أن لبنان استقل سنة ١٩٤٣م بعد ٢٥ سنة من حكم الترك . وفى الطريق نرى مصانع الألومنيوم والكرتون وغيرها ودير المسيح الملك Christ roi على جبل . نمر بنهر الكلب وسمى بهذا الاسم فيما يحكى إذ كان فيه كلب عظيم إذا وجد عدوا نبح حتى يسمع نباحه فى قبرص ... ومن الملحوظ أن مياه هذا النهر جافة فيما رأيناها تحت جسر قريبا من الجبل .

أما جعيتا فهى كلمة آرامية معناها «جزيرة المياه» تبعد عن بيروت شمالا نحو

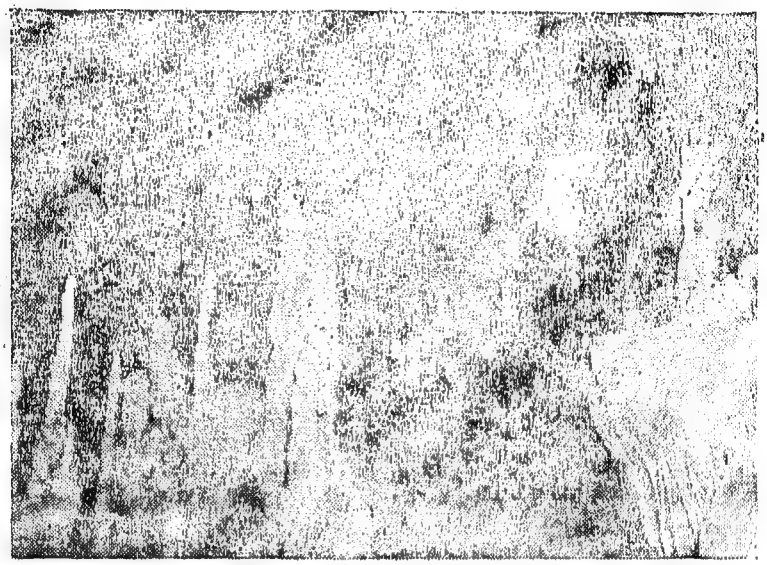

مغارة جعيتا «لبنان»

١٨ ك بها آثار مياه من جبل بعيد ، وفى كل سنة تعلو المياه من ذوبان الجليد ، اكتشفت المغارة العليا فوق المغارة المائية من عشر سنوات فقط وافتتحها الرئيس شارل حلو سنة ١٩٦٨ .

وركبنا التلفريك لنصل إلى المغارة العليا ...منظر بري ولا يصنع أو يقرأ عنه، روعه في الجمال ، الصخور تكونت من المياه أشكالا تختلف حسب أحاسيس الرائي فهذا شكل معبد وليس معبداً في الحقيقة، وهذا منظر تستطيع أن تصفه بأنه تمثال أمرأة بينما قد يراه غيرك شيئاً آخر وكذلك وجه أبي الهول، منظر آخر كقطعة سمك بكلاه ، وثان كرأس أسد بأنيابه .

ولتقريب الصورة إلى ذهن القارىء أشير عليه بأن يطوي ورقة نصفين بعد أن يضع في منتصفها نقطة حبر . المنظر الناتج قد يراه البعض زرافة أو شجرة، أشكال مختلفة تلقائية أو عفوية كذلك الشأن في مغارة جعيتا ومن المحتمل بعد سنوات بعيدة قادمة أن تتغير مناظرها بفعل المياه نتيجة ترسب الأملاح الذابة في صورة بللورية تتراكم طبقة فوق أخرى وبذلك يتغير الشكل. قدرة الله ، لقد سمعت من يراها وقد أخذ بالمنظر يقول : الله أكبر ، حكمتك يارب ..لابد أن تعرف الله مادمت إنسانا ذا مشاعر .

وعلى كثرة الزائرين فان التنفس فيها طبيعي ومريح ، وممنوع التدخين أبحرت الباخرة في نحو السادسة مساء وفي أمنية البعض لو استمر أياما في لبنان.

اليوم الأخير :

ها هي باخرتنا تصل إلى ميناء الاسكندرية قبل وصول الباخرة «سوريا» وإن كانت الأخيرة قد بدأت رحلتها من بيروت قبل باخرتنا «سفنيا» بساعات ومرجع هذا أن « سوريا » اتخذت طريقها في البحر غير طريق سفنيا بعيدا عن إسرائيل .

وقد حدث أن خرجت مجموعة من الرحلة بسرعة كأن لم يجر على حقائبهم فحص ، وكل يحمل مع هداياه ذكريات تختلف في درجة حلاوتها أو عنائها عن الآخر ، أما أنا فقد أخذ زميل الجمارك جواز السفر ليثبت به قيمة الهدايا[1] وكأنه يوقع في أو توجراف صديق عزيز ..وخرجت شاكرا .

---

(١) كالتعليمات في ذلك الوقت .

المقالة الرابعة

فى مهبط الوحى

« إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإنى دعوت فى صاعها ومدها بمثلى مادعا به إبراهيم لأهل مكة »

حديث شريف

يوم .. قبل السفر :

عقدنا العزم على أداء العمرة فى رمضان ، المجموعة التى أدتها من قبل معى هى تقريباً ذلك أن الذكرى الطيبة تدفع الإنسان إلى استعادتها ومعايشتها ماوجد إلى ذلك سبيلا وكلنا يرجو ما قال رسول الله:

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

نتجه إلى شركة الطيران للحجز فيخبرنا العامل المختص ألا مقاعد خالية غير غد (١٦ من رمضان ١٣٩٢ ، ٢٣ أكتوبر ١٩٧٢) أو يوم الوقفة أى بعد نصف شهر تقريباً فلنختر الغد فخير البر عاجله.

اليوم الأول والثانى :

الظروف ميسرة تماما ، وقد سمح لنا بتحويل ٨٨ جنيها مصريا إلى ١٣٠ دولار .

نحزم حقائبنا وقد حوت الجديد من الملابس إلى مطار القاهرة حيث قررنا السفر بعد منتصف الليل بقليل « الساعة ١٢٫٢٥ » .

في الطريق : الطائرة تقل أناسا محرمين وآخرين رأوا أن تبدأ زيارتهم إلى المدينة أولا ، وقد كنت من هؤلاء لمجرد التغيير اذ سبق فى رحلتى الأولى أن أحرمت للتوجه إلى مكة قبل المدينة ولكى ألزم نفسى معرفة آبار على أو ذى الحليفة ولم أكن زرتها من قبل كميقات للاحرام .

بينما رأى بعض البدء بالمدينة ربما انتهازا لرخص الفنادق قبل ليلة القدر (٢٧ من رمضان) حيث قيل أن الاسعار ترتفع بهذه المناسبة .

وأيا كان السبب فسيان البدء باحداها قبل الأخرى وإن كان منطق التاريخ أن بدأ الإسلام بمكة .. غريبا .

وفي الساعة ٢ر٠ صباحا يعلن المضيف أن الطائرة ستعبر البحر الأحمر بعد نحو عشر دقائق ونستطيع الاحرام حيث الميقات رابغ .

جدة : ها هو مطار جدة نهبط إليه الساعة ٢ر٢٥ صباحا لقد استكمل بناءه ولم يكن هكذا عامنا قبل الماضى .

صفوف تقف لاتمام الاجراءات ، وأحس أن المحرمين أولى بالتقدمة ، فهم في تجردهم إذا خلصت النية — أقرب إلى الله من غيرهم .

الوقت قبل الفجر فنتجه إلى مسجد قريب من المطار ، وأنا أحب أن تنشأ دور العبادة قريبة من محطات السكك الحديدية ، والموانئ حيث ترسو البواخر ، والمطارات فهى تعطى المظهر الدينى المشرق للبلد ..

ويؤذن المؤذن في صوت قوى أخاذ الأذان الشرعى دون تزيد مثلما نراه في بعض المساجد بمصر ، إذ المفروض أن الصلاة على النبى يقوم بها السامع

بعد انتهاء المؤذن ، لأن تلحق بالأذان [١] ..

وبعد أن نفرغ من الصلاة أدع حقيبتين لى مع بعض الصحب ، وأتجه إلى داخل جدة فى جولة قصيرة .

تبدو الشوارع متسعة وليس هناك مايعوق حركة المرور ، فالمارة قليل وأكثر الحوانيت مغلقة فى الصباح الباكر ، فى الطريق طلبة بالمدارس الابتدائية والمتوسطة يلبسون جلبابا أبيض .

زى الطالبـــات : أما الطالبات فيلبسن زيا إلى القدم أزرق أو كحلى اللون وخمارا أسود مربعا أبيض وحذاء أسود ، ولولا مايحملنه من حقائب الكتب السوداء المربعة الشكل ماأدركت أنهن طالبات ، وزيادة فى التحفظ كثيرا ماتقلهن السيارات الخاصة أو بالأجرة .

وهذا الزى تتربى عليه الفتاة العربية منذ الصغر اذ لاتعفى منه تلميذة التعليم الابتدائى .

الحقيقة لم أستطع بينى وبين نفسى انتقادا لهذا الوضع ، صحيح أن الشريعة الاسلامية رخصت فى ظهور الوجه والكفين ، ولكن هذه حياة القوم ارتاحوا لهـا ولا بأس من إغلاق أبواب الفتنة .. المهم ظاهرا وباطنا [٢] .

---

(١) تنتهى صيغة الأذان كما أريه فى النوم عبد الله بن زيد الأنصارى وعمر بن الخطاب بقول « لااله الا الله » وزاد بلال فى الصبح « الصلاة خير مـــن النوم » فأقرها رسول الله . الطبقات الكبرى ٨٦٧/٢ .

(٢) لعل من الأمثلة الظاهرة على التوفيق بين مدنية العصر فى النصف الثانى مـن القرن العشرين وتطبيق الشريعة الإسلامية فى السعودية أنه سمح =

الجو شديد الحرارة فكنا نستروح بالمسجد وقد عملت فيه مراوح أعطته رطوبا مستعجبا فى انتظار عربة إلى المدينة .

الابتلاء وسكينة النفس : هاهى العربة بعد الاتفاق على ٢٥ ريالا لم ينزل عنها السائق ولو قليلا للوصول بنا إلى المدينة ، مفاجأة أن افتقد إحدى حقيبتى فلا أجدها لقد تركها زميلى خارج المطار وعنده الثقة مثلى ألا شىء يضيع فى هذه البلاد ، فتذكرت تجربة لى مثل تلك فى رحلة إلى ليبيا منذ سنتين ، ففى ميناء بنغازى علمنا أنه ممنوع على الركاب الخروج بدولارات أمريكية فأودعتها حقيبة ملابس ، وخرجت أتجول بالميناء وعدت وقد لحظت أن الحقيبة فتحت عنوة وسرقت الدولارات فأسفت أسفا بالغا وإن حمدت الله أن الباخرة تكفينى المأكل والمشرب والنوم حتى العودة إلى مصر . ولكن فى هذه المرة وقيمة الحقيبة الضائعة وماتحويه أضعاف الدولارات المسروقة أحس بالسكينة تملأ نفسى أحس بقوة الحكمة الإلهية فى الابتلاء بنقص الأموال ، وأن الحقيبة لم تضع منى تماما .. صحيح أنها ليست بين يدى الآن وربما إلى أن ينقضى العمر ولكن قيمتها المعنوية تنتظرنى فى اليوم الآخر حتما .. بعض ذنوبى سترتد إلى سارق الحقيبة أو سآخذ بعض حسناته لقاء سيئته معى .. ولعلها أخذت بالخطأ ولم يستطع آخذها معرفة عنوانى ليرد ها ، ولا يملك الإنسان

= للطالبات بالتعليم الجامعى وأنشئت دوائر تلفزيونية مغلقة مزودة بأجهزة تلفونية لكى يلقى الأساتذة محاضراتهم فى الأستوديو لتنقل مباشرة إلى الطالبات وتتم المناقشة والأسئلة عن طريق التلفون وتتعلم الطالبة دون أن يعرف الأستاذ شكلها .

(جريدة الأخبار فى ٢ يولية ١٩٧٤ ، ١١ من جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ)

في مثل هذه الحالات الا الدعاء : « رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

تبدأ العربة سيرها الساعة ١٠ر٢ بتوقيتنا في مصر إلى المدينة المنورة يحدثنا السائق أن السعودية تزرع البطيخ والعنب ... والقهوة ، يريد أن يقول : البن ولكنه يحسن نشوة المشروب [1] .

نقف قليلا عند « ثول » محطة للسيارات بها مقهى بلدي ، ثم نقف ببدر .

بدر : وقد وقعت موقعة بدر في ١٧ من رمضان (السنة الثانية للهجرة) ونحن اليوم في ١٧ من رمضان بعد ألف وثلاثمائة وتسعين عاما ولكنا نحاول أن نتمثل الواقعة وما تزخر به من معان .

أول تلك المعاني الشجاعة وحرية الرأي ، قلة قليلة (٣٠٥ رجال) تغلب كثرة (نحو ٩٥٠) الأولى زادها الحق والإيمان به ، والثانية في طريق البغي تسير .

ولقد تمثلت ديمقراطية الإسلام حين اختار رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مكان المسلمين عند أدنى ماء من بدر فاذا رجل من المسلمين الأنصار هو الحباب بن المنذر يجد شيئا في نفسه من هذا الاختيار فيسأل الرسول : أمنزل أنزلكه الله .. أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فيخبره الرسول أنه

---

(١) يراجع بحث طيب عن القهوة في كتاب « من نفحات الحرم » ص ٦٧ وما بعدها للأستاذ علي الطنطاوي دار الفكر بدمشق ١٩٦٠ م

الرأى والحرب والمكيدة فاذا الحباب يشير على الرسول بردم كل قليب [1] وراء ظهره لكيلا ينتفع بها المشركون ماعدا واحدا يشرب منه المسلمون ويبنون عليه حوضا فيجاب إلى طلبه ، وكان الانتصار فى المعركة الذى سبقه انتصار حرية الفكر .

ولقد جرت غزوة بدر بقيادة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المناضل الشجاع بأسلوب لم يكن مألوفا من قبل هو أسلوب الصفوف الذى يدل على النظام لا أسلوب الكر والفر ، وبالاسلوب الجديد تؤدى الصلاة فلا ينسى المقاتل صلته بالله مع عدم الغفلة عن الاسلحة والمتاع .

وحين نرى نتيجة المعركة يسرح الفكر إلى أولها ، فقد مثل الانصار سعد بن معاذ فقال مما قال : « .. فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله » . [2]

وهذه الكلمة النابضة بالصدق وحرارة الايمان المحددة لطاقة القوم فى خوض البحر ، وغدا ، هى عدة النصر تقربها عين النبى القائد وكان عليه الصلاة والسلام « يخوف ألا تكون الانصار ترى عليها نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسيروا بهم إلى عدو من بلادهم . كما يقول ابن هشام .[3]

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع فى المجلس حين مشورته للصحابة

---

(١) أى بئر .

(٢) سيرة النبى ـ لابن هشام ٢ / ٢٥٤

(٣) المرجع السالف ٢ / ٢٥٣

قولا حسنا من أبي بكر وعمر ، وللمقداد بن عمرو الذى قال: إمض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد (١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » .

ويلفتنا فى هذا الموقف :

١ — حرص النبى أن يكون للمسلمين رأى واحد فى المعركة ، مهاجرين وأنصار .

٢ — التوكل على الله لا التهريج الرخيص ومجاملة القائد فى غير استعداد نفسى ممن يخوضون المعركة .

ولكم من المعارك يخوضها « الجندى المجهول » ، ولكن بدرا حفظت لشهدائها أسماءهم واحدا واحدا فأول من قتل مهجع مولى عمر بن الخطاب ، ثم رمى حارثه بن سراقة لم ينسب إلى أحد من مشاهير الإسلام كعمر ، وانما هو أحد بنى عدى بن النجار .. فقتل أيضا .

أردنا صلاة المغرب بالمسجد المقام هناك فاذا قريب منه عين بدر وقد أشارت اليها بلدية المدينة المنورة بالعربية والانجليزية بعبارة «ماء للوضوء Water for lavation» وليتها أوجزت شرحا فى لافتة أين يبدأ هذا الجزء من العين ، فقد قيل لنا : من واد خلف جبل قريب ، وتنتهى فى « الشهداء » .

ثم تناول طعام الإفطار فى مقهى بلدى والجو فى شعورنا يشع بأنبل المعانى وأعظمها .

---

(١) موطن بناحية اليمن .

وتمضى العربة فى سكون الليل فتأخذنا اغفاءة ثم نستيقظ .. الطريق طويل ، إذاعة القاهرة نسمعها والسائق معجب بها وكذلك من معى فأقول ينبغى أن نسمع إذاعة السعودية لنعرف جديدا ولكن أنزل عند رغبتهم .

هاهى المدينة المنورة تلوح من بعيد ، فيخيل إلى أن أول بناء سنلتقى به هو الحرم النبوى .. رغبة فحسب ، ونصل المدينة وبعد جهد قصير نوفق إلى فندق من الحرم النبوى قريب .

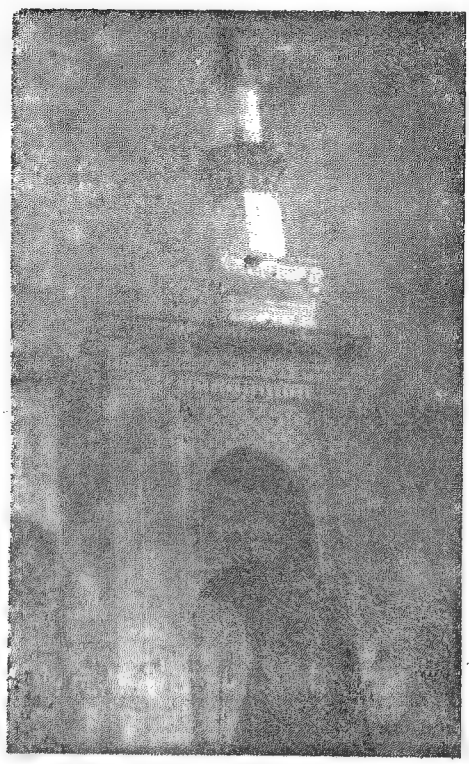

الحرم النبوى

اليوم الثالث :

نتجه إلى الحرم النبوى لصلاة الفجر ، أول ما لفت نظرى لوحة قرأنية أخذت موضعها عاليا جانب الحجرة النبوية « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ،ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ، والله غفور رحيم » (١) .

مناجاة الرسول : فاذا أنا أرددها فى نفسى أذوق حلاوتها وأتدبر معناها ،لقد كان الرسول أمام قوم فيهم همجية ينادونه بصوت جهير دون شعور منهم بمراعاة حال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف راضهم الرسول من بعد على الخلق الحميد حتى ليحسب أحدهم وكان رفيع الصوت (٢) أن تكون نزلت فيه « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » فيبكى فيصطحبه أخ إلى النبى فتنزل الآية :

« إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم » (٣) .

ها نحن المسلمين نناجى رسول الله فى خشوع ، نسلم عليه،وعندنا أنه يسمعنا لقد انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى فى ١٢ من ربيع الأول سنة ١١ هـ وما يزال حيا فى النفوس .. حيا برسالته الخاتمة .

الخليفة الأول:

هاهو أبو بكر الصديق إلى جوار رسول الله كما كان فى جواره يوم

(١) الحجرات ٤،٥
(٢) هو ثابت بن قيس
(٣) الحجرات ٣ .

الهجرة نبلغه تحية الإسلام ذاكرين جهده فى محاربة المرتدين ومانعى الزكاة ، سبحان الله ، أول من أسلم من الرجال يلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى هذا المكان أيضاً ورأسه عند منكب الرسول - صلى الله عليه وسلم .

ثانى الخلفاء الراشدين :

و ننتقل خطوة حيث يثوى عمر بن الخطاب ورأسه عند منكب أبى بكر نلقى اليه تحية الإسلام وقد قال فيه رسول الله : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين فكان عمر بن الخطاب ، الذى يذكره التاريخ فيذكر الشهامة والعدل والرأى السديد .

لقد توفى عمر سنة ٢٣ هـ . ولكنه يظل نبراسا لكل قائد يبغى الحكم الصحيح على مدى الأزمان .

ثم نستقبل القبلة داعين الله لنا ولأحبابنا وعامة المسلمين ، وأنا أذكر كلمة « عامة المسلمين » أتذكر الى جوار رسول الله وصاحبيه أنه عن يمين الداخل من باب « جبريل » يجد مكانا مرتفعا قليلا عن الأرض مسورا بسور معدنى ارتفاعه نحو قدم .

أهل الصفة :

إنه مكان « أهل الصفة » فقراء المهاجرين الذين عصبوا البطون وآثروا العبادة الدائمة فى هذا المكان بين باب « جبريل » و « النساء » من الحرم النبوى الشريف .

هؤلاء عظماء خالدهم التاريخ كجماعة مسلمة نذكرهم بفخار وإعجاب وحب ، وشتى المشاعر الطيبة ثم نخرج من المسجد لنصطدم العين والنفس بمنظر لا ينبغى أن يكون فى مجتمع المسلمين ، نساء - وقليل من الرجال — يتسولن وبنات ينشأن على هذه الخصلة الكريهة .

إعانة الفقراء :

وعندى أن الحكومة قادرة على أن تمنح العائلات الفقيرة إعانات تساعدها على العيش الكريم حفاظا على الإسلام الذى يكفل الحياة الكريمة لرعاياه .

ويزيد الأمر خطورة أن المتسولة لاترى غضاضة فى أن تمديدها ، سألت إحداهن عن جنسيتها — دون أن أعطيها قرشا — فقالت : من المدينة ، وأستطردت : وأنت واقف على أن تكون من مصر ، وهكذا المصريون والمغاربة كيف جاءت بهم طائرة أو باخرة ؟

سؤال مزيج من الاستغراب والاستنكار ألا تجد من يشجع ، وهو فى صميمه يدل على أن التسول كحق العمل لها فى نظرها .

حمام الحرم :

والعمل ضرورى لكى تستقيم للانسان حياته ، ولو بيع الغلال لطائر الحرم فى مكة والمدينة على السواء ، وقد كنت أعطى الفتاة البائعة مبلغا من المال — لعله كفارة عن خطأ يسير أقع فيه — لتضع بقيمته طعاما لحمام الحرم فأجدها تكاد تطير من الفرح أو الاشفاق على الحمام لتضع له ماتراه مناسبا لما دفعت فى غير شح منها . ومعروف أن فى حمام مكة اذا قتل شاة على المحرم بالحج أو العمرة .

وهذا يدل على إنسانية الإسلام التى تقوم على التعاطف نحو الكائنات الوادعة . . الحمام ، مما يربى المسلم على الدعوة الى السلام فى معاملاته مع الناس .

ومما يتصل بهذا تحريم الصيد فى الحرم أو قتل الصيد فى حالة الاحرام

إلا ما استثنى فى حديث رسول الله - ﷺ - « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور » وقد قاس العلماء بالكلب العقور الذئب والسبع والنمر والفهد فهى أشد فتكا منه .

فالسلام ليس مطلقا حين يتعرض المسلم لأذى .

نور الحرم :

ونعود الى الحرم النبوى عند كل صلاة ، وعند المغرب تجد الحرم يعانق سناؤه : نور خارجى بمصابيح « الفلورسنت » ، ونور داخلى بالإيمان الذى جمع أجناسا متعددة ولغات مختلفة حول النبى العربى يقبسون من رسالة الإسلام الخالدة .

لقد آخى الإسلام بين الأوس والخزرج بعد أن وقعت بينها - قبل الإسلام - وقائع سفكت فيها الدماء حتى اذا ما هاجر الرسول اليهم أنمحت الأحقاد الجاهلية من نفوسهم .

أخوة المؤمنين :

ليسموا من بعد « الأنصار » ثم آخى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين هؤلاء الأنصار والمهاجرين .

وها أنذا أرى مشهداً لاتفوتنا دلالته : جرت عادة المسلمين قرب أذان المغرب فى رمضان الجلوس بالحرم وقد أعد كل منهم بعض التمر ونوعا من الخبز وربما قليلا من القهوة يتبلغون به عند مدفع الإفطار الى أن تقام الصلاة وقد رأيت من يختلس النظر إلى أخيه فيرى نوع التمر غير الذى يأكل منه

فيعطيه منه ، و نظر الثانى الى فوجد التمر الذى معى غير النوعين فأعطانى من تمره : وثلاثتنا لم يسبق لأحد منا معرفة بالآخرين ، ولكنها روح الأخوة والتواد أنشأها المسجد الإسلامى . . فى غير جشع .

تقول السيدة عائشة « إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً — لطعام — إن هو إلا التمر والماء ، ولقد مات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين » .

وتؤكد المعنى نفسه بقولها « ما شبع آل محمد — صلى الله عليه وسلم — منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » .

صحف المدينة :

وبعد صلاة العشاء والقيام أمضى بعض الوقت فى المكتبة العامة بالمدينة المنورة ولأول مرة أعرف أسماء الصحف التى تصدر بالمدينة: عكاظ ، البلاد ، المدينة .

وينبغى أن تقرأ هذه الصحف فى مصر فلا حدود بين بلاد العالم الاسلامى لاسيما فى مجال الفكر ، وجميل أن تحرر مثلا مجلة « الرابطة الإسلامية » باللغتين العربية والإنجليزية على النحو الذى تصدر به مجلة « الأزهر » فهى تسعى الى القارىء الذى لا يعرف العربية ويعرف الانجليزية وهو مسلم يدين بالقرآن كأهل باكستان وأندونيسيا . . فهم يعرفون قراءة القرآن وكتابته ولكنهم لا يعرفون العربية فى غير القرآن ما عدا بعض الكلمات الإسلامية .

وأرى للترابط بين العالم الإسلامى أن تدرس العربية فى البلاد الإسلامية، والأردية فى البلاد العربية ، فمن غير السائغ أن تكون الإنجليزية لغة التفاهم بين المسلمين !.

اليوم الرابع :

نبدأ هذا اليوم بصلاة الفجر فى الحرم النبوى ، فتكرار الصلاة به شىء لايمل بل تزداد رغبة فيه كلما ازددنا ريا من نبع الإسلام الصافى ، حيث لابدع ولاخرافات تنسب إلى الدين ، ففى روضة محمد — صلى الله عليه وسلم — لايمكن أن يدنس ذوق فى غير مابلغ الرسول عن رب العالمين من دين الفطرة المهذبة ، والفكر العالى .

نشهد أن محمدا رسول الله بلغ الرسالة وأدى الأمانة فاستحق أن يرفع الله ذكره .

التشهد : ولانجد أفضل مما ورد فى « التشهد » فى الدعاء بالصلاة عليه ، ففى التشهد ذكر ابرهيم وآل ابراهيم مما يدل على امتداد الرسالة منذ أبى الأنبياء حتى خاتم الرسل محمد — صلى الله عليه وسلم — وفيه تقدير لمكانة النبوة — فى ذاتها — وفيه احترام للأسرة الإسلامية فى الصميم ، ففى كلمة «آل محمد» و«آل ابراهيم» ماتستريح إليه النفس ، فزوجات الرسول أمهات المؤمنين ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — وصفه القرآن بأنه «بالمؤمنين رءوف رحيم» ، وأخبرنا — عليه الصلاة والسلام — أنه لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه .

فأى امتزاج نفسى وعقائدى يجمع بين التابع والمتبوع .

جنة البقيع : ذهبنا إلى البقيع مقبرة شرقى المدينة المنورة فيرشدنا المزور ـ نظير «المطوف» فى الكعبة ـ هنا العباس بن عبد المطلب ، فاطمة الزهراء ، الحسن ، محمد الباقر ، وهنا بنات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ زينب ورقية وأم كلثوم ، وهنا أزواج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهنا صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقيل بن أبى طالب ، سفيان بن الحارس ، عبد الله بن الإمام جعفر ، وهنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس الذى ما برح المدينة إلى قطر أجنبى . وفدت إليه الناس من كل جنس وأفادت منه علما ، ونافع شيخ القراء مولى عبدالله بن عمر .

وهنا عمة الرسول صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام ، وهنا ابراهيم ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهنا شهداء أحد ـ وننظر جبل أحد يظهر واضحا على البعد ـ وهنا عثمان بن عفان ، وهنا حليمة السعدية .

ثم يذكر أن خارج سور البقيع أبا سعيد الخدرى وفاطمة ابنة أسد والدة أمير المؤمنين على . ونحن نسلم عليهم .

ونشعر فى كل مرة أنه يشير إلى أب أو أخ أو أم أو أخت واراه التراب بالأمس القريب ومحامده ملء القلب والفكر واللسان .

وعند الخروج يظهر جبل سلع على الأفق متقارباً مع مئذنة الحرم والقبة الخضراء .

ولا يزال بقيع الغرقد (١) أو جنة البقيع كما يسميه بعض ، فقد دفن

---

(١) سمى بذلك لأنه كان فيه غرقد ـ شجر الشوك ـ وقطع .. النهاية ٣/٣٦٢

فيه نحو عشرة آلاف صحابي ،يحتوى من أجساد المسلمين كل يوم ماشاء الله، فالأرض فيه لذلك مقسمة أقساما ثلاثة أو أربعة يوارى فيها بالتعاقب .

وتستقل سيارة إلى المزارات بالمدينة المنورة :

(١) مسجد قباء : وينطقونها بحذف الهمزة ، وهو بقرية فى الجنوب الغربى

مسجد قباء

على بعد ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة ، أقام بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى بنى عمرو بن عوف أربعة أيام أو تزيد وبها أنشىء المسجد الذى قال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فيصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة» ويروى أن عمر بن

الخطاب كان يأتيه يومى الاثنين والخميس ويقول :لو كان مسجد قباء فى أفق من الآفاق لضربنا إليه أكباد الابل .

والحق أن هذا الموطن يصل فكرك وقلبك بالحرم النبوى والمنطقة حواليه كما يصلنا بماضى الدعوة الاسلامية الاولى .. إلى الأنصار وكأنها وقعت فى يومنا الحاضر .

فقد أدركت رسول الله الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بالمسجد الذى فى بطن وادى رانوناء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وهنا يتسابق الناس بين مسافة وأخرى من الطريق فى استضافة رسول الله ـ ﷺ ـ قائلين له : هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة فيقول لهم وهو راكب ناقته « خلوا سبيلها فانها مأمورة » فيخلون سبيلها وتنطلق حتى إذا أتت بنى مالك بن النجار برکت فى مربد (١) . فسأل الرسول : لمن هو ؟ فقال معاذ بن عفراء : لغلامين يتيمين لى ، هما سهل وسهيل بنى عمرو ، وسأرضيهما منه ، فأمر به رسول الله أن يبنى مسجداً (٢) ونزل الرسول ـ ﷺ ـ على أبى أيوب خالد ابن زيد ، ولم يشأ رسول الله ـ ﷺ ـ أن يكون فى العلو من البيت كما عرض عليه أبو أيوب ، وإنما أقام بالسفل قائلا يا أبا أيوب أن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت .

ولقد كان الرسول يعمل فى بناء المسجد مع المهاجرين والأنصار وهم يقولون :

---

(١) الموضع الذى يجفف فيه التمر .

(٢) لم يفت صاحب «الطبقات الكبرى» الإشارة إلى أن رسول ـ ﷺ ـ أبقاءه منها بعشرة دنانير مع قولها له : بل نهبه لك يارسول الله :ج٢/ص٢.

لاعيش إلا عيش الآخرة اللهم أرحم الأنصار والمهاجرة

مما يدل على تطلعهم إلى اليوم الآخر وإيمانهم به ، وكذلك كان يعمل على ابن أبي طالب.

كنا نسير فى هذه المنطقة حوالى المسجد ويخطر لنا أن رسول الله مشى فى هذه الطريق أو تلك فنحس النشوة والسرور ... والأدب أيضاً .

ثم تنطلق العربة إلى :

(٢) جبل أحد : هنا شمال المدينة وقعت معركة انتصر فيها المسلمون فيما أرى وإلا لما قال الرسول :هذا جبل يحبنا ونحبه . وإن كنا نحس ضراوتها وشدة الرغبة فى الانتقام فى قول أبى سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى .

جبل أحد

وقد أصيب فيها النبي القائد فكسرت رباعيته وجرح وجهه وكسرت البيضة على رأسه وهاهو يقول - ﷺ - «أشتد غضب الله على من قتله النبي ﷺ - في سبيل الله ، أشتد غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله ﷺ - .

فقد اشترك الرسول مخططاً للمعركة ، فكان من خطته - ﷺ - أن يثبت الرماة «إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا »ذلك أن المشركين كان لهم مائة فرس يقاتلون عليها فاذا أخذ الرماة يرشقونها بالنبال فيهيأت أن تتقدم،وهكذا فعل المسلمون في بدر، ولكنهم في هذه المعركة - كما يقول البراء - هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل ، رفعن عن سوقهم قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون . الغنيمة ، الغنيمة ... وهنا يغتنم فرسان المشركين الفرصة ليتقدموا...

وكان من أسلحة المشركين الشائعة يروجونها لعلمها تصيب ألرها في إيمان القوى المعنوية ، وكان من أخطر مايقال أن يترذد عن النبي أنه قتل ، فقد بلغ حب المسلمين لرسول الله - ﷺ - أنهم لا يتصورون موته ولقد سجل القرآن ذلك « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم [1]».

وبالفعل أشاع فلمية الليثي قاتل مصعب بن عمير بين يدى رسول الله أنه قتل محمدا ، ولك أن تتصور كيف يغلب الحزن القوم فيرجع بعضهم في طريق

---

(١) آل عمران ١٤٤ .

المدينة ، بينما تنتاب الحيرة بعضهم فتصيب سهام المسلمين المسلمين ، بينما ثبت مع النبي البعض الآخر... ويظهر صوت النفاق « لو كان نبيا ما قتل فارجعوا إلى دينكم الأول » ...

وأيا كان الأمر فقد كانت «أحد» محكا صادقا لنفوس القوم ونضرب مثلا واحدا عمرو بن الجموح كان أعرج وليس على الأعرج حرج ولكنه يقول «أرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة » ، فأي إخلاص هذا يدفعه إلى الاستشهاد في سبيل الله هو وابنه خلاد ... وغيرهما كان يريد أن يرزقه الله الشهادة .

وقد ظهر النبي قائداً إنسانا يسأل عن جنوده ولا يئس من نصر الله ، فقد سأل مثلا عن سعد بن الربيع ، وذكوان بن عبد قيس ، وكان يدعو لقتلى أحد بالجنة ويقول :

«أنا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك »

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون».

من أجل هذا قدمها أن المسلمين — برغم دروس المعركة القاسية أحيانا — انتصروا وليس أدل على ذلك من أن فرسان قريش لم يدخلوا المدينة ووقفوا بالعقيق — موضع بالمدينة — وهموا بدخولها ولكن موقعة بدر كانت في وعيهم حائلا دون التقدم ويقول قائلهم .

«ولا نأمن أن يكروا علينا وفينا جراح ، وخيلنا دامية قد عقرت من النبل» .

وقد انتهت المعركة في ٧ من شوال سنة ٣هـ (٢٣ مارس ٦٢٥م) وحمل الناس قتلاهم إلى المدينة فقال منادي رسول الله ﷺ «ردوا القتلى إلى مضاجعهم» ولكنهم كانوا قد دفنوا فتركوا إلا واحدا رد.

قبر حمزه وصاحبيه :

هانحن نرى قريبا من جبل الرماة قبر حمزة بن عبد المطلب وعبدالله بن جحش ومصعب بن عمير .

لقد دفن ثلاثتهم في قبور متجاورة أو لعلها قبر واحد ، وقد قال الرسول لأهل القتلى :

أحفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر وقدموا أكثرهم قرآنا .

وعن هؤلاء الثلاثة يروى أن الرسول ﷺ حين توجه إلى المدينة لقيته حمنة بنت جحش بنت عمه ﷺ فقال لها :

احتسبي .

— من يارسول الله ؟

— خالك حمزة .

— إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئا له الشهادة .

— ثم قال لها :

— احتسبي

— من يارسول الله ؟

— أخاك عبد الله بن جحش .

— إنا لله وإنا إليه راجعون ، غفر الله له ، هنيئا له الشهادة .

ثم قال لها :

— أحتسبي .

— من يارسول الله ؟

— زوجك مصعب بن عمير .

— فصاحت : واحزناه ، واحر قلباه .

فقال لها رسول الله — ﷺ — :

— لم قلت هذا ؟

— تذكرت يتم بنيه فراعني .

ولعل الحزن قد فاض بها بعد الاثنين فولولت عند ذكر زوجها ، على أن الرسول — ﷺ — دعالها ولولدها أن يحسن الله عليهم الخلف ، فتزوجت طلحة بن عبد الله فكان أوصل الناس لولدها .

وبرغم أن المنطقة لاتحوى من القبور غيرماهؤلاء الثلاثة فان النساء ممنوع دخولهن ويدفن من وراء سور ، وهناك لافتة بلغات ثلاث :

«الصلاة عند القبور والتمسح بها ورمى النقود عليها لاتجيزه الشريعة الاسلامية» .

ثم تمضى العربة إلى :

(٣) بئر عثمان : وقد نضب ماؤها وهي داخل مزرعة لوزارة الزراعة السعودية .

(٤) مسجد القبلتين : وهو كما يدل عليه اسمه المسجد الذى كان يصلى فيه رسول الله نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً من مقامه بالمدينة ، ونزلت الآية الكريمة « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون (١) .

فتحول الرسول — ﷺ — فى صلاته من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وفى هـــذا تكريم للبيت الذى رفع القواعد منه أبو الأنبياء إبراهيم — عليهم السلام — وتشريف لمكة .

(٥) مسجد الخندق أو الفتح : ويقع على الخندق ، ولعله سمى بالفتح والمساجد التى جهة قبلته تيمنا بسورة الفتح ... ونعود إلى المدينة حيث نرى فى طريقنا :

(٦) مسجد الغمامة : وهو فى ميدان قريب من الحرم إلى حد ما .

ونتقل إلى الحرم النبوى الشريف ، الوقت الظهيرة قد تجد من ينام فى الحرم وتستغرب لذلك ولكن الأمر فى أعماقه نعمة من الله بالنسبة للمسافر إلى المدينة وتثقل عليه أجرة الفنادق أو تشق عليه حرارة الشمس فى رابعة النهار ، وقد كان ابن عمر ينام فى مسجد الرسول — ﷺ — وهو عزب .

ونزور المصطفى عليه الصلاة والسلام وندعو ما طاب لنا الدعاء ونخرج لنعد حقائبنا قاصدين آبار على بعربة « شفروليه » حيث وصلنا إليها بعد عشر دقائق .

آبار على : أين هى آبار على ؟ ذكر لنا أحد المقيمين بالمنطقة أنها بعيدة قليلا ولا فائدة

---

(١) البقرة ١٤٤ .

من زيارتها لنضوبها وتوجد آبار صغيرة يمتح منها المـــاء ويؤكد هذا القيم أنها تفتت حصى الكلى .. ولكن الوقت صيام ولا سبيل إلى مذاقها فنكتفى بالاحرام وصلاة ركعتين .

ونذكر أن ابن تيمية يتحدث عن هـذه المنطقة قائلا « وفيها بئر يسميها جهال العامة بئر على ، لظنهم أن عليا قاتل الجن بها ، وهو كذب فان الجن لم يقاتلهم أحد من الصحابة .. ولا فضيلة لهذا البئر ولا مذمة » .

سارت العربة على بركة الله .. الطريق طويلة تحفها الجبال فى كثير من المناطق ، والظلام يكاد يلفها تماما الا من رى من مصابيح اشارة السيارات العابرة ، لو لم توجد هذه المصابيح المضيئة أكانت تسير العربات فى غير اصطدام بعضها ببعض ، ولهشيمها جميعا برغم مهارة القيادة ؟ .

يخطر هذا السؤال لنا فنتذكر أن الإيمان كذلك فى ضرورته للانسان .

بكـة . ها هى مكة التى كرمها الله حين ذكرها فى القرآن بهذا الاسم ، « وبكة » مرة و « أم القرى » أخرى فاشتهرت هـذه الأسمـاء القرآنية دون غيرها مثل الناسة [1] ، والباسة والحاطمة ، تقع على خط عرض ٢١ر٥ ° شمالا متقاطعة مع خط الطول ٣٩ر٥ ° شرقـا .

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين [2] »

---

(١) فى أساس البلاغة : قيل لمكة الناسة لحدبها ويبسها .

(٢) آل عمران ٩٦

نعم، العالمين يحجون إليه ويطوفون حوله من مصر وباكستان، وبورما، وتيجيريا، وروسيا... وغيرها يزورون هذا البيت ويبلغ بهم التأثر حد البكاء الطويل في مناجاة لله أن يرفع عنهم إصرهم ويفرج كربهم ويجعل الوارث منهم.

«وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها[1]»

ويقرأ زميل من كتاب[2] دعاء يذكر عند دخول مكة المكرمة:

«اللهم إن هذا الحرم حرمك والبلد بلدك، والأمن أمنك والعبد عبدك جئتك بذنوب كثيرة وأعمال سيئة، أسألك مسألة المضطرين إليك المشفقين من عذابك أن تستقبلني بمحض عفوك وأن تدخلني في فسيح جنتك»...

ويردد الرفقة الدعاء، وتستوقفني كلمة «ذنوب كثيرة وأعمال سيئة» أبدا لا أحس أني ارتكبت ذنوبا كثيرة جئت لأغتفر هنا وإن كان قد يغلب على الناس ذلك، لقد جئت ألتمس الخير فوق الخير في نفسي، وربما حايدت النفس دون أن أدري، فالشعور بالذنب مسألة نسبية تخضع للفرد وطباعه وللأمة وتقاليدها.

ونستكمل الدعاء «اللهم إن هذا الحرم حرمك وجوار رسولك فحرم لحمي وعظمي على النار، اللهم أمني من عذابك يوم تبعث عبادك، أسألك بأنك

---

(١) الشورى ٧

(٢) مناسك الحج والعمرة. عبد الرحمن محمد أمين وصلاح الدين عطية ط ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م القاهرة.

الله الذى لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد ﷺ وصحبه ، وسلم تسليما كبيرا أبدا ».

فيقع الدعاء فى النفس موقعا طيبا «فخرم لحمى وعظمى على النار» لاسيما عند رؤية البيت الحرام فعلا .

تقف السيارة لنبحث عن مكان نبيت فيه ، لاشىء حاضرا يليق بمكانتنا الاجتماعية أو يعادل فندق السعادة الذى أقمنا به فى المدينة المنورة منذ أيام . وتضطر الى المبيت فى بيت لأحد الناس أسمى نفسه « خادم بيت الله الحرام » — تسمية فخر للملوك فى هذه البلاد (١) — وأراد أن يؤجره لنا بدون «حنبل» فأسأل عن معنى « حنبل » فيخبرنى زميلى المصرى : يقصد السجاد لننام فوقه إذ لا توجد أسرة . . لا بأس على أبناء الأرض أن ينامـــوا على الأرض ، وفى المسجد الحرام متسع للألوف ينامون فيه يومهم وغالب ليلهم ، الناس هنا لا يعرفون بمكانتهم الاجتماعية فى غير هذا البلد . . المكانة الدينية ينظرها الله ولا شىء غيرها . . وفى صحيح مسلم أنه — ﷺ — ظل يتكىء على وسادة من أدم حشوها ليف ، وقبض فى ثوبين متواضعين : إزار غليظ مما يصنع باليمن وكساء ملبد .

ولقد رأى بعض فى الآية الكريمة :

« وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

---

(١) من المآثر التى ذكرت للمغفور له الفيصل بن عبد العزيز أنه رفض أن يطلق عليه «جلالة الملك» . فالجلالة لله وحده .

أن العاكفين يقصد بهم من انتابه - أي الحرم - من الأمصار فأقام عنده» وعن عمر بن الخطاب أنه سئل عن الذين ينامون في المسجد فقال : هم العاكفون (١) .

نعم ، إنهم ضيوف الله في بيته الكريم « طهرا بيتي » .

تركنا متاعنا لنقوم بزيارة المسجد الحرام ، وعند الدخول من باب السلام نقول :

« اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ، وأدخلنا الجنة دارك دار السلام . . »

« السلام » تتكرر حتى تشبع بها النفس في بلد السلام والأمن كما دعا الله لها ابراهيم عليه السلام ، وليس أكثر من الجنود في مكة لا يحملون سلاحا. هكذا رأيت ، فاذا ما رأيت البيت الشريف لا تملك إلا أن تقول : الله أكبر : الله أكبر ، الله أكبر ، وتهلل ثلاثا أيضاً فكلمة « لا اله إلا الله » تتضح في النفس كأعمق ما تكون في هذا المكان العظيم .

« اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما » .

الكعبة المشرفة : لقد تذكرت أن الكعبة على مر التاريخ وجدت من يحاربها وتصدت له ولعل أول هجوم عليها حملة أبرهة الحبشي التي وجهها من اليمن

(١) نيل المرام - محمد صديق خان ص ٣٢ - ط التجارية سنة ١٩٦٣م

نحو سنة ٥٧٠ م وقد أراد أن يحول دون التفاف الناس حولها وبنى كنيسة بديلاً عنها ولكنه حين قدم ليهدمها وأصحابه أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ، وتأمل هذا الجمع الذي لا يعرف مفرده يقيناً (١) ربما ليعبر عن فظاعة هذا الكم بما لا نستطيع أن نتصور أفراده حتى ليتساقط أصحاب الفيل كأوراق الشجر يأكلها الدود

هذا في الجاهلية .. وفي العصر الأموي أرسل يزيد بن معاوية رجلاً يدعى الحصين بن نمير على رأس جيش لمحاربة عبد الله بن الزبير في مكة وسار الجيش وضيق الحصار على عبد الله وصحبه فاضطروا إلى اللجوء إلى الكعبة وبنوا حولها خصاصا من القصب ولكن الحصين لم يكف عن أمر رجاله بضرب الكعبة بالمنجنيق حتى تمزقت كسوتها وبدت أحجارها (٢) ...

تذكرت هذا المشهد وما فعلته الصهيونية في بيت المقدس فدعوت الله أن يجعل هذا البلد آمنا .. حين يظل الناس في أمنهم النفسي دون تناحر على عرض الدنيا أو تحاسد وتباغض .

ومن يقرأ الآية الكريمة « واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » (٣) .

---

(١) قيل : أبالة ، وأبول ، وأبيل ، وأبال ..

(٢) في منزل الوحي ص ٢١١

(٣) البقرة ١٩١

يدرك كم عزيز على العناية الإلهية أن يحدث قتال عند المسجد الحرام إلا أن يضطر المسلمون فى هذا الموضع دفاعا عن النفس، والدين كما يقول الله:

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » . (١)

الطواف حول الكعبة : تقترب من البيت الكريم ثم تبدأ الطواف ، وباب البيت عن يسار مبتدئين بالحجر الأسود ، سبعة أشواط الثلاثة الأولى رملا أى فوق المشى ودون الجرى مع هز الكتفين .. حركة رياضية تدل مع الاضطباع — على القوة والنشاط ، ولا رمل على النساء .

الحجر الأسود : وهنا نجد الناس متزاحمين فى شوق كل يريد أن يقبل الحجر الأسود ولا نرى التزاحم ضروريا إذ يمكن الاستعاضة عن التقبيل باستلامه باليد أو مشيراً عليه بيمينك من بعد .

وغالب الظن أنه ليس من حجارة الأرض فقد يكون من السماء عن طريق النيازك ، فهو عزيز على القوم حتى أن قريشا لما بنى الكعبة بعد أن كان هدمها السيل ثم يتنازع زعماؤها أيهم يضع الحجر حتى يحكموا أول من يطلع عليهم .. فكان النبى عليه الصلاة والسلام ، هنا لا يشرح محمد بوجهه مسفها أن يتنازعوا على وضع حجر وإنما يبسط رداءه ويضع فى وسط الحجر ثم

(١) البقرة ٢١٧

يقول لأربعة من أهل الرياسة فيهم : ليأخذ كل واحد بجنب من جنبات هذا الرداء ، فشالوه وأدنوه من موضعه فأخذه —عليه الصلاة والسلام— ووضعه في مكانه وقريش كلها حضور (١) .

وتمضي نحو خمس سنين (٢) على بناء الكعبة ليبعث محمد نبيا ، فكأنما كان اختيار قريش بأشرافها وشيوخها لمحمد أن يضع الحجر الأسود إقرارا منهم أنهم يحتاجون إلى محمد — عليه الصلاة والسلام — في الأمر كله من بعد.

والحجر الأسود هو الذي قال فيه عمر إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . . وهو — ولله المثل الأعلى — يمين الله في أرضه يصافحها أو يقبلها المسلم معاهدا الله على دوام العمل بسنن الإسلام ، وليس هذا بمستغرب والبيت بيت الله ووضعه في الركن إلى اليمانية قد يناسب هذا الفهم .

ومن الملحوظ أن المطوفين يلقنون الحجيج أو المعتمرين أدعية معينة يختلف كل منها في شوط عن الآخر أما عند الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود فيتكرر الدعاء القرآني :

«ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٣)»

وعندنا أن للمسلم أن يدعو بما يعبر عن حاجته وسؤله صادقا مخلصا لله بأي دعاء يشاء .

---

(١) مروج الذهب ص ٤٩١

(٢) مروج الذهب ص ٤٩١

(٣) البقرة ٢٠١

مقام ابراهيم : ثم نتجه إلى مقام ابراهيم حسب الأمر القرآني :

« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقـــام ابراهيم مصلى[1] » .

ونصلي ركعتين سنة الطواف ويستحب أن يقرأ فيهما «قل يأيها الكافرون» و«قل هو الله أحد».

ومن المفسرين من يرى أنه يقصد بمقام ابراهيم الحرم كله[2]، ونستريح إلى أن المقصود به على التخصيص الحجر الذي قام عليه أبو الانبياء وهو يرفع القواعد من بيت الله الحرام ويناوله اسماعيل الحجارة ، ويدعو المسلم دعاء ابراهيم واسماعيل :

«ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم »[3] .

والمقام حاليا أمام الكعبة بمنة الملتزم حين تقف مستقبلا القبلة محاط بسور معدني على قاعدة من رخام ، وقد قيل إنه كان ملصقا بجدار الكعبة وأخره من الجدار عمر بن الخطاب ، وليس في صنيع عمر ما يثير شكا وقد قال رسول الله - ﷺ - «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » ويقصد بها المسلمون صادقو الإسلام بفهم ووعي ، ومن مثل عمر مسلما بين قادة التاريخ؟

---

(١) البقرة ١٢٥

(٢) تفسير ابن كثير ١/١٦٨

(٣) البقرة ١٢٨ .

وقد كانت بعض آيات القرآن تنزل موافقة لما يرى ومنها - فى هذا الصدد - ما رآه عمر من الصلاة خلف مقام ابراهيم إذ قال :

يارسول الله ، لوصلينا خلف المقام ! فأنزل الله - سبحانه - «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» ودلالة هذا الأمر أن محمدا - ﷺ - يقوم مقام خليل الله رسولا نبيا وأن الدعوة متصلة .

ثم يستحب أن نعود إلى الحجر الأسود - الرمز القديم - نستلمه .

ومن المشاهد العميقة وقوف المسلمين بالملتزم - ما بين الركن والباب - وقد انهمرت دموعهم ، ومنهم من يقف ساعة أو تزيد رافعـــاً يديه على حائط الكعبة بين بابها والحجر الأسود ملتصقا بأستار الكعبة ،وقد كنت أسمع لغات غريبة عنى ممن يجاورونى بالمكان ومع ذلك فالمعنى واضح ... صلة عميقة بالله ، وذنوب قد أذابتها الدموع فيصبح الإنسان طاهراً كيوم ولدته أمه .

ومن التجمعات اللافتة فى حجر اسماعيل وهـــو ما حواه الجدار المدار بالبيت جانب الشمال يصلون ويدعون فتحس مع الحركة الاهتمام البالغ بالوصول إلى الله - تجمع لا للمصالح الشخصية الدنيوية ، وإنما هو تجمع هادىء لهدف عال يصل بهم إلى اليوم الآخر يبتغون به الجنة إن شاء الله .

الصفا والمروة:

ثم خرجنا للسعى بين الصفا والمروة ، أما المسنون أو غير القادرين فثمة عربات لهم نظير ريالات قليلة ، وينبغى أن يسامح العمال المختصون بهذه العربات فى الثمن الذي يتقاضونه من الحجيج أو المعتمرين إذا لم يستطيعوا

دفع ما يقررون من أجر مساعدة لهم فى أداء شعيرة من شعائر الله كما قال الله : «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم»(١) .

ولم يرد ذكر الصفا والمروة فى القرآن فى غير هذه الآية ولكنها تبلغ من نفس المؤمن مبلغا عميقا وهو يرددها فى سبعة الأشواط كلما اقترب من الصفا أو المروة حتى يبلغها ويرتفع فوقها .

وواضح من الآية أنها نزلت فى قوم تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة بعد إسلامهم إذ كانوا يطوفون بهما فى الجاهلية ، ولكن فرق بين من يطوف وهو غائب الوعى عن الهدف من طوافه أو يظن أن الصفا والمروة معبودين من دون الله ، وبين من يدرك الحكمة الإسلامية من واقع التاريخ ...

فالأصل فى الطواف قصة أم اسماعيل – عليه السلام – حين عطش ابنها عطشاً شديداً فصعدت إلى الصفا (٢) – وهى من أصل جبل قبيس – فنظرت فلم تر شيئا حتى أتت المروة (٣) فلم تر شيئا فعادت إلى الصفا ثم إلى المروة سبع مرار فقالت يا اسماعيل مت حيث لا أراك فأتته وهو يفحص برجله من من العطش فاداها جبريل : من أنت ؟ قالت : وكلنا إلى الله ، قال : وكلكما

---

(١) البقرة ١٥٨

(٢) الصفا : جمع صفاة وهى الصخرة والحجر الأملس .

(٣) المروة : حجر أبيض براق ... من أجل هذا بدا الماجر من بعيد كسراب فيما نرى .

إلى كاف وفحص الأرض بأصبعه فنبعت زمزم فجعلت تحبس الماء (١) ، وفى ذلك يقول - ﷺ « لو تركته لكان الماء ظاهراً » (٢)

دلالات المشعى:

وهذا الحديث يدل على أن الحكاية ليست أسطورة كما قد يتبادر إلى ذهن، تقول الدكتورة بنت الشاطىء « إن جهاد أم فى سبيل ولدها قد تقبلته السماء ورأت فيه أسمى صورة من صور العبادة فجعلت من تلك القصة الإنسانية المؤثرة للأمومة سفراً يتلى فى « الكتاب المقدس » وجعلت من دعاء ابراهيم آية منزلة فى « القرآن الكريم » ..

١ — الأمومة:

ونستطرد قائلة « .. وما كانت « هاجر » سوى أمه طريدة مضطهدة نبذت مع وليدها بالعراء فى الفلاة الموحشة بواد غير ذى زرع لكنها أم ، وكانت الأمومة حسبها عبادة وقربانا » (٣)

٢ — العمل الدائب :

وفوق هذا المعنى الإنسانى الكبير نجد معنى تقدير العمل حين يلوح الأمل ، وقد حرك هذا المعنى فى النفوس رسول الله - ﷺ - وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعى يدور به إزاره وهو يقول : اسعوا فان الله كتب عليكم السعى .

(١) تفسير ابن كثير ١/١٧٨ (٢) تفسير ابن كثير ١/١٧٧

(٣) أرض المعجزات ص ٩٣ وما بعدها - دار المعارف بمصر ، (أقرأ) سلسلة سنة ١٩٥٦ .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله - ﷺ - كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

يصنع ذلك ثلاث مرات ويصنع على المروة مثله (١) .

فهو عليه الصلاة والسلام قد بدأ بالصفا كما بدأت الآية الكريمة .

٣ - الامتثال : وحسب المؤمن أن يمتثل أمر الله ولو خفيت المعاني وراءه، ومن الخطأ الظن أنه ليس على الرجل شيء أن لا يطوف بهما كما في حديث عروة - وهو حديث السن - لعائشة - رضى الله عنها - فقالت عائشة : كلا، لو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما .

فقد أصبح الطواف بهما بالتعبير القرآني من شعائر الله أي علما لطاعته « جل وعلا » فهو إذن ركن لا يصح الحج أو العمرة إلا به .

يقول مالك : لا أرى على الذي يرى الجمار أو يسعى بين الصفا والمروة وهو غير متوض عادة ولكن لا يتعمد ذلك (٢) .

ولقد أوضح بدء الهرولة بالنسبة للرجال دون النساء ضوء أخضر بعد الصفا بنحو ٧٥ مترا وتنتهي بعد نحو سبعين مترا وهذه المسافة يظهرها ضوء آخر أخضر وفي أثناء الطواف سيرا ، أو هرولة كنت أرى الطريق مسقفا

---

(١) الموطأ ص ٢٤٣

(٢) الموطأ ص ٢٦٣

« إحساس لا أجده في غيره من الطريق » فأدعو الله أن يهديني الصراط المستقيم ، وأن يكلل مسعانا بالخير .

وينتهي الشوط السابع عند المروة حيث تجد بعض الصبية يحمل كل مقصا لتقصير الشعر فيتحلل المحرم من الاحرام وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله، قال: اللهم ارحم المحلقين، قالوا : والمقصرين يارسول الله ، قال : والمقصرين .

اليوم الخامس : نمضيه في الأسواق ، ولكن كلما أذن المؤذن لصلاة أسرعنا إلى المسجد الحرام . وربما توجهنا إلى المسجد قبل الصلاة للطواف بالبيت فاذا ما أقيمت الصلاة أثناء طوافنا أدينا الصلاة ثم نعود لتكملة الطواف .

وأتأمل الطائفين كل في شغل عن الآخر إلا من سؤال سرع من أحدهم لآخر عن شيء يريد أن يعرفه أثناء الطواف ..

الإحرام والحياة . لقد تجردوا جميعا من أسباب الدنيا إلا بما يستر العورة من ثوب غير مخيط يمثل الكفن عند أناس ، ومن المعتاد أن تجد من يغسل ملابس الإحرام بماء زمزم موصيا أن يكفن بها عند مماته ويجد في ذلك راحة للنفس .

شروط حياة حافلة بمجارب وأنواع من الصراع بين تجرد الانسان عند الميلاد وتجرده عند الموت قد يمر بالإنسان في ملابس الاحرام ، أما فكرة الموت عندي فلم تخامرني إلا حين كنت أتذكر والدي ـ رحمه الله ـ طائفا بالبيت عامنا الماضي أو حين يصلى على الميت الحاضر بالمسجد الحرام .. الآن يصلون عليه وهم مطهرون ، وغالب الاعتقاد أنه مات مطهرا أيضاً ، فأعظم

للناس ذنوبا من وقف حاجا أو معتمرا وهو يحسب أن الله لم يغفر له ، وقد قال رسول الله « ﷺ » « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه (١) » ويقول عليه الصلاة والسلام: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن (٢)، وعنه ﷺ أنه قال قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإذا أقبل إلى يمشى أقبلت إليه أهرول (٣) .

ومن ابن عباس رضى الله عنهما : بينما رجل واقف مع النبى « ﷺ » بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته فقال النبى : اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين ولا تمسوه طيبا ولا تخمروا رأسه ولا تحنطوه فان الله يبعثه يوم القيامة ملبيا (٤) .

الله أكبر .. أى سعادة يغبطه الأحياء لها ؟ !

لقد كنت ممتلئا حياة فى هدوء واستقرار نفس وملابس الإحرام فى نظرى مثل لبساطة الحياة وما ينبغى أن يكون عليه المسلم من شعور التساوى مع المسلمين غيره لا علو ولا فساد فى الأرض .

---

(١) صحيح مسلم ١٠٧/٤

(٢) « مسلم ١٦٥/٨

(٣) « مسلم ٨ ٩١

(٤) مسلم ٢٣/٤ ، البخارى ٢٢/٣ — وقصته : دقت عنقه فمات .

إن العمرة حجة مصغرة ـ إن صح التعبير ـ [١] وقد قال الله في الحج :

(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات [٢] على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) [٣]

ففي هذه الآيات من أمارات الحياة الدافقة أنهم يشهدون (منافع لهم) ، هذه المنافع تختلف بأختلاف الأفراد ، قد تكون في المعرفة لأحوال الناس في هذه البلاد ، قد تكون التجارة . . . أو قد تكون أي شيء ولكن لابد أن يعطف على هذه المنفعة المعنوية أو المادية ذكر الله ، وشكر الله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) ثم تقول الاية : (فكلوا منها) مظهر حياة (وأطعموا البائس الفقير) تعاطف وتراحم (ثم ليقضوا تفثهم) أي يزيلوا أدرانهم من قص الأظفار والشارب وحلق الرأس ..... (وليوفوا نذورهم) أدوا ما نذروا من عمل البر (وليطوفوا بالبيت العتيق) أي الكعبة بما في هذا الطواف من معنى السعي والفتوة .

فليس في هذه الآيات ما يشير الى الموت ، ومع ذلك فإن الاحرام للحج والعمرة يوحي إلى نفوس بفكرة الموت لأول وهلة بالنظر إلى ملابس

---

(١) كانوا يسمون العمرة الحج الأصغر ، ويوم الحج الأكبر هو يوم عرفة أو يوم النحر .. النهاية ٤ / ١٤٦ .

(٢) وقت أداء الحج أشهر معلومات هي شوال ، وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، ولايجوز الإحرام بالحج قبلها .

(٣) الحج ٢٧ — ٢٩ .

الإحرام عند الرجال ولكن هذه الفكرة تغيب حين النظر الى ملابس الإحرام للنساء فهى الملابس العادية .. بيضاء تدل على نقاء النفس، ويستحب الجديد فيها بما يدل على الإقبال على الحياة .

ولاشك أن فكرة الموت ترد على الخاطر كفيلة أن تجعل الانسان يعيش حياته محاسبا نفسه بدقة ، وهى جديرة بأن تجعله يحترم الآخرين اذا ظن بهم الموت القريب ويعطف عليهم .. قدسية الموت تنفع الأحياء حين يعتبرون بها .

اليوم السادس:

يوم عادى .. فى بهجته وروائه .. المسجد الحرام يشدنا اليه، لانطاوعنا قلوبنا على الرحيل عنه ونتصور كيف سنفقد ثواب المسجد حين السفر إلى القاهرة .. ها نحن نسمع الآذان فى المسجد الحرام فيخطر لنا المؤذن الأول بلال بن رباح ، عتيق أبى بكر الصديق ، إذ أمره الرسول فى غزوة الفتح أن يصعد على ظهر الكعبة بالآذان .

كنت أود زيارة للمناسك : منى وعرفة ومزلفة وهى شرقى مكة ولكنى قد ضربت بها فى رحلتى السابقة ، وجوار المسجد أولى أن نلزمه .

فى المساء حركة نشطة فى المحلات التجارية، والأضواء الباهرة فى الشوارع تجعلك لا تحس فرقا بين ليل ونهار ... أدخل أحدها فما يلمحنى البائع حتى يطلب إلى برفق الخروج .. المحل مخصص للسيدات ، معى شقيقتى .. فيقول: المطاوع يكلمنى .. من المطاوع؟ إنه رجل للحفاظ على الآداب ، لقد جاء

فعلا بزيه الرسمي المميز بحاكت « كاكى » .. وقف خارج المحل هادئا غير متكلم ، ولكنه مرهوب .. الفتيات والنسوة يرفعن جزءاً قليلا جداً من الخمار ريثما يميزون الأصناف لونا وجودة ثم ينزلنه ليغطى الوجه كله ويعاون الحركة نفسها لصنف بخديد .

وممنوع على النساء أن يقسن الملابس داخل المحل، يأخذنها البيت وعلى المحل التجارى أن يغير الصنف اذا لم يطابق المقاس ... لقد أخذحقه ومع ذلك فطبيعة الأمور تلزمه أن يبدل الصنف .. ويا صبر التاجر على امرأة — على تحجبها — تتأنق فى زيها ، فتتأنق فى الاختيار .

اليوم السابع :

أستقل عربة أجرة إلى جدة للتأكيد على موعد سفرى حيث المطار وشركة الطيران ، يخطر بالذهن ما تتألف منه السعودية التى تبلغ مساحتها ٢٥٣٠٠٠ كم٢ من أقاليم نجد والحجاز والحسا وعسير ، وصحراء النفود فى الشمال ، والجهات الجنوبية الغربية من الربع الخالى بينما يبلغ عدد سكانها نحو سبعة ملايين أو أكثر بقليل فنقارنها بمساحة مصر وهى نحو مليون كم٢ وعدد سكانها يربو على الثلاثين مليونا . لقد تذكرت ما ورد فى كتب التاريخ أن زعماء قريش جاءوا النبى يشكون من أنه « ليس من الناس أحد أضيق بلدا ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشا منا » (١) ولكنها الآن فى مصاف الدول الغنية .

---

(١) سيرة النبى ١/٣١٦

وفى هذه البلاد يستخرج الذهب من « مهد الذهب » عند منتصف الطريق بين مكة والمدينة . وهى غنية بالبترول فى « الظهران » قرب القطيف جنوبا على الخليج العربى ، وتقوم آلات تكريره فى رأس التنورة الواقعة على الساحل .

ويعتبر إقليم الحسا أكثر الجهات خصوبة لما فيه من عيون الماء وهو ينتج أجود أنواع البلح بوفرة . فضلا عما يزرع فى هذه البلاد من فواكه مثل الموز والرمان ، والقثاء .. وما يصدر لها من بضائع من اليابان ، هونج كونج ، تايوان ، باكستان ، سوريا ، لبنان ، المانيا الديمقراطية .

وقد شاءت العناية الالهية أن يطلق اسم هذه البلاد منسوبا إلى عبد العزيز بن سعود منذ سنين عددا[1] ، الذى استولى على الحجاز سنة ١٩٢٦ وكان سلطانا لنجد وتوابعها وأعلن أن لقبه الرسمى « ملك الحجاز ونجد وتوابعها » وفى سنة ١٩٣٢ أعلن هو تعديل اسم المملكة إلى « العربية السعودية » .

نعود إلى مكة حيث نمضى اليوم كله بها وفى الليل نستقل عربة أخرى الى جدة مع بعض الرفاق .. وذلك بعد طواف الوداع بالبيت العتيق .

ها هى الطائرة التى تقلنا الى القاهرة بعد ساعات .. مقاعد كثيرة قد تخلف أصحابها .. لابد أنهم سيتعللون إذا سألتهم جهات رسمية بعلل مختلفة ..

---

(١) أعلن مقتل الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية فى ١٢ من ربيع الأول ١٣٩٥ـ٢٥ مارس ١٩٧٥ برصاصة من فيصل بن مساعد ابن أخيه والعالم الإسلامى يحتفل بذكرى المولد النبوى الشريف .

ومخلقة ، ولعل السبب الحقيقى عدم استطاعتهم أن يتركوا الأرض المقدسة ، أرض المعجزات بسهولة :

وفى مطار القاهرة تعرض الحقائب على مسئول الجمارك .. سيدة تبدأ فى المغالطة فى تقدير قيمة ما معها .. معها كميات تجارية من صنف ما ولكنها تقول أنه لاستعمالها الخاص فأقول فى نفسى يغفر الله للناس إذ يخلطون عملا صالحا وآخر سيئا .. وقد وعد سبحانه أن يتوب عليهم .

المقالة الخامسة

أيام فى رومنيا

كان موعدنا إلى رومانيا فى ٣ سبتمبر ١٩٧٤ م رحلة جماعية لخمسة عشر يوما . تهبط الطائرة بميناء أثينا الجوى فننزل اليه عابرين Transit ، يمر أحدنا بعد الآخر على ممر يهتز بوقع الأقدام .. يضيء مصباح صغير عند مرور بعضهم فيسأله العامل المختص إذا كان يحمل أشياء معدنية ، فيخرج اليه بعض العملة المعدنية ويسأله أن يمر ثانية فيضيء المصباح أيضا فيسأله إذا كان معه معدنيات أخرى فيظهره على سلسلة مفاتيح .

ويتسلم الراكب عامل آخر بالمطار فيمرر يده على جسمه يتحسس إذا كان معه آلة حادة أو سلاح .. وبعد دقائق نعود للطائرة . ترانا نزلنا هذا الميناء للتفتيش وحسب ؟ يتكرر التفتيش بمطار بوخارست حيث تبعد عن أثينا ١٢٣٢ كم .. تثور منا النفس فنكبت ثورتها فنحن غرباء حقيقة .. غرباء اللسان ، وهذه أصعب غربة فيما أرى . إنه وسيلة التعبير العاقلة . الجمارك كلها — فيما قيل — تفعل ذلك بعد تكرار حوادث اختطاف الطائرات فيما عدا جمارك مصر . التفتيش الذاتى فيها بشبهة قوية ، وإذا أسيىء استعماله كان المسيء موضع لوم .. أول صورة يتلقاها الزائر عن مصر التسامح مهما قيل عن تصرفات مشينة أحيانا .

نحن الآن فى رومانيا .. فى عاصمتها .. مدينة أنشئت فى قلب غابة .. هكذا تبدو فهى بلد زراعى كمصر ولكن مساحتها أقل من ربع مساحة مصر فمساحة مصر مليون كم ٢ ، ومساحة رومانيا ٢٢٧٥٠٠ كم ٢ ، تقع جنوب شرقى أوربا بين خطى عرض ٤٣° ٥٧ ، ٤٨° ١٥ ٦٤ شمالا ، وخطى طول ٤٤ ١٥ ٢٠° ، ٢٤ ٤١ ٢٩° غربا .

وتحد رومانيا من الشرق والشمال باتحاد الجمهوريات السوفيتيه الاشتراكية، ومن الغرب بالمجر، ومن الجنوب الغربى بيوغوسلافيا . ومن الجنوب ببلغاريا ومن الجنوب الشرقى بالبحر الأسود .

نقضى ليلتنا الأولى فى بوخارست بفندق « مودرن » - هكذا اسمه أى حديث - إن له مـــع الأنفراج السياحى الذى بدأته رومانيا منذسنين قليلة إيحاء طيبا ، وهو مريح بعدانهار طويل بدأه أكثرنا من الفجر خوف فوات الميعاد المحـــدد للطائرة وما يسبقها من اجراءات .

إطلالة من شرفة الفندق تلحظ معها الخضرة تسود المدينة من عل . أشجار باسقة ،زهريات فى الشرفات.

أما الوجه الحسن الذى نلمسه فى البشر فليس للغريب - فى نظرى - أن يقاوم كثيرا أوفى كل الأحيان ، فالرومانيون مزاج عناصر سلافية ومجيارية وألمانية وتركية مع الرومانيين الأصليين-سكان ولاية داسيا الذين ينحدرون من عائلة هندو أوربية عظيمة (١)

وعدد سكان رومانيا نحو عشرين مليونا (٢) تتكون غالبيتهم من الرومانيين ٨٧ر٨٪ وبجانبهم يعيش أيضاً مجريون وألمان وجنسيات أخرى . أما عدد سكان العاصمة فهو نحو مليون ونصف (٣) .

---

(١) وقد هزم الرومان ولاية داسيا بعد عدة حملات عسكرية فى السنوات المبكرة من القرن الثانى .

(٢) حسب تعداد يوليو ١٩٧٢ ٢٠ مليونا و ٦٦٠ ألفا .

(٣) « « « ١٤٧١ : ١١٨٨٣٢٨ نسمة .

وهم بيض البشرة ولكنه ـ فى نظرى أيضا ـ بياض « واقف » ـ إن صح التعبير ـ ليس فيه نصاعة أحيانا ، وبعضهم يميل إلى السمرة حتى لتحسب أحدهم أو إحداهن من مصر جمالا أو خفة دم ، وإن لم يخل هذا الجمال وتلك الخفة من لمسة حزن تعبر عنها العين فى بعض الوجوه .. هل هى وطأة الحياة ؟ ربما ، على أن جيل الشباب يبدو أكثر تبسما وجمالا .

وتمثل المرأة ٤٥٪ من القوى العاملة فى رومانيا ومعنى ذلك أنها تساهم بوفرة فى بناء المجتمع وتقدمه ، كما تعمل على زيادة النسل ولا يسمح لها باستعمال وسائل منع الحمل الطبية إلا بعد إنجاب أربعة أطفال .

وثمة مزارع مخصصة لغذاء الأطفال تتركدون تزويدها بالكيماويات لإنتاج أفضل طعام للأطفال (١) مظهر طيب للعناية بالطفولة .. عماد المستقبل .

وإذ نتحدث عن الجمال . والمرأة العاملة أذكر فتاة بفندق أقنايه فى ماماياباهرة الجمال بحق يسألها صاحبى العجوز « ثمانين سنة » ـ وقد أعجب بها ـ من أى بلد أنت فى رومانيا ؟ فتقول : كونستانتسا ، فيقول : أكل فتيات كونستانتسا جميلات هكذا ؟ فتبتسم فى خفر يزيدها جمالا ، ويخشى العجوز الحرج فيقول مشيرا إلى : هذا الشاب أعجب بك فتبتسم ثانية قائلة : إنى متعبة ، طوال الليل أعمل فى الفندق .

وتثور فى صاحبى ذكريات سنين غبرت قضاها فى رومانيا . فى كونستانتسا فيطلب التوجه اليها ، إن بينها وبين ماماياثلاثة كيلو مترات شمالا ، وعدد

---

(١) من حديث مع السيدة : إلينا شاوشيسكو . قرينة الرئيس الرومانى . جريدة الجمهورية فى ١٩٧٤/٨/٢٩ .

سكانها يزيد على الألف بقليل .. أتراه يظن الجمال فيهم جميعا ؟ لا بأس فالمحبوبة هى العالم كله فى نظر المحب .

وماماية بينها وبين بوخارست ٢٣٤ كم وهى مركز استجمام عالمى هكذا تصفها كتب الدعاية وكتب الجغرافيا ، تقع بين مياه البحر الأسود الزرقاء والمياه العذبة لبحيرة Siutghiol ، ولكنها عندى ليست بالشاطىء الذى لا يقارن كالاسكندرية تحظى بشواطىء تفوقها جمالا كالمعمورة والعجمى ، ولكنها الدعاية الواسعة التى تجعل وفودا أوربية ضخمة تستجم بها .

وقد أقمنا فيها ستة أيام نزلت شاطئها ـ البحر الأسود ـ مرتين .. الماء أغلظ كثافة فيما نحس من مياه البحر الأبيض المتوسط . ذرات سوداء تعلق بالجسم قادمة من كونستانتسا حيث ترسو البواخر بهذا الثغر الهام ، ومدخل الثغر منخفض يونا المدينة خلفه على بعد ، وقد أنشىء به ثغر اصطناعى به تيسيرات لشحن الحبوب إلى روسيا .

شىء آخر فى مياه ماماية . أجسام هلامية بيضاء تضغط عليها بأصبعك فتتمزق .. إن الأطفال يعبثون بها ولكن البحر خال من الصخر ، قليل الغور قريبا من الشاطىء ، فالناس تبعد فيه ولكنها لا تعوم ولا تمكث طويلا .. إن متعتهم الاستلقاء على الرمال .. ملاءة تفرش عليها أو حشية من مطاط .. قلما تجد شمسية إنهم يحبون التعرض للشمس من يعرض لها ظهره أو بطنه . مادا رجليه أو ثانيا الساقين . رجالا ونساء فى ملابس البحر ، أما الأطفال فقد تجد بعضهم خلع لباس البحر ، وظل كما ولدته أمه .. قد يحدث هذا المنظر عند فقراء الناس فى مصر ، ولكنها فى المجتمع الأوربى تقوم على فكرة

عدم إبراز أهمية الأعضاء الجنسية بتغطيتها وقد أسماها القرآن «سوأة» (١) وأمر بمواراتها، وعند التأمل لا يمكن أن تستوى اليد مثلا بهذا الأعضاء .

وقد نجد من يستمتع بحمام طين . أو قل طين وشمس فهم يضعون على بعض الأعضاء طينا يشفيهم من أمراض الروماتيزم والنقرس .

هذا المنظر لا نجده فى أيامنا بشواطئنا بالاسكندرية مثلا ولكن جالينوس يحكى أنه رأى بالاسكندرية مطحولين ومستسقين كثيرا يستعملون طين مصر ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم فينتفعون به منفعة بينة قال : وعلى هذا النحو قد يقع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهلة الرخوة .(١)

الهواء نقى عذب ، ممتع حقيقة ، لا ضوضاء وموسيقى الجاز الصاخبة ليست من الضوضاء .. فى رومانيا .

وماما يا كلها شاطىء أو بتعبير آخر امتداد للشاطىء ، فمن الممكن السير بملابس البحر فيها جميعا إلى الفنادق أو المتاجر ، وقد رأيت من يستلقى على جزء أخضر من أرض أمام الفندق .. لقد غضب المرشد من إفساد خضرة الأرض ، فلكى تخضر بذل فيها جهد ، وأنفق ماء ، ولذلك خسارة فى نظره إفسادها بالنوم عليها . ولكن السائح ضيف مدلل .

ويزين المنظر تماثيل متعددة بين خطوات وأخرى ، لقد شد انتباهى منها

---

(١) زاد المعاد لابـــن قيم الجوزيه ٣/١٢٥ . ط . المصرية بالقاهـرة ١٣٧٩ هـ .

تمثال قريب من فندق « سلكت » أم تحنو على طفلها .. إن « ماماياي » في اللغة الرومانية معناها الجدة .. بعض الموافق بين الاسم والتمثال قلت ليت التمثال يكون أكبر التماثيل الموجودة في مدخل « مامايا » .

ومن المصايف الرومانية جنوب كونستا نتسا : إفوري على بعد ١٤ كم، والمياه ببحيرة Techirghiol شديدة الملوحة كوستنستي على بعد ٢٥ كم ، فبين « إله البحر عند الرومان » ٣٩ كم ، جوبيتر « كبير آلهة الرومان » على بعد ٤٠ كم ، فينوس ٤٢ كم ، ساتيرن ٤٦ كم والثلاثة الأخيرة تقع جوار مدينة كلاتيس القديمة في القرن السادس قبل المسيح أو « مانجاليا » حاليا .

* * *

إستبدال العملة : ولعل من أسوأ الأمور أن تكون بين خضرة وماء ووجوه حسان ثم تعترضك مشكلة نقدية .. إن القانون في رومانيا يمنع إدخال اللوى ـ العملة الرسمية للبلاد ـ اليها كما يمنع إخراجها منها فيحذرنا المرشد السياحي من التعامل بالعملة في السوق السوداء كاشفا عن حيل تجارها فقد يعطى أحدهم عملة قديمة ألغى العمل بها ، أو أن يطوى ورقة العملة ومع سرعة العد قد لا تتبين أن الورقة المحمولة هي نصف ورقة في الحقيقة إلا بعد أن ينصرف التاجر .. وقد كان تحذيره في موضعه .. في كونستانتسا مجموعة من تجار العملة تلتقي بنفر من المصريين - وهذا يتكرر مع الغرباء عامة - تدخل معها مدخل فندق .. سعر التحويل مغر ، يقرب من ضعف قيمة

---

(١) وذلك في سورة الأعراف كما في الآية (٢٢) « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » ونرى أن سلوكهما هذا هو سلوك الفطرة .

التحويل من البنك (١) ، والتجار يريدون تحويل المبالغ الضخمة ، أما البسيطة فينصرفون عنها . . والسبب أن تسخرق العملية وقتا ، وتضطرب الأيدى ، والنفوس فهذه مخالفة جسيمة ، وأثناء العد يصيح العاجز : بوليس . ويجرى مع نصيبه من المال الحرام .

نعود إلى مامايا . . منظر النصب يتكرر فى حديقة . . فى جانب من شارع . هذا شاب ضحية غير له تاجر العملة مبلغا ضخما ، عده أمامه وأطمأن إلى صحته ثم يتبين أنه بخفة يد بدل اللفافة بغيرها . . فنقص المبلغ عشرين جنيها استرلينيا . . إنه ينتظره ليقبض عليه . . سذاجة أخرى هذا الظن ، إنه لن يظهر فى هذه المنطقة إلا بعد أن يختفى منها الضائع إلى باد آخر . .

هذه امرأة تذكر أنها من روسيا تقوم باستبدال العملة أيضا بصوت خافت جداً . . أتراها قطعت ١٩٦٣ كم هى المسافة بين موسكو وبوخارست لهذا العمل هل وراءها عصابة من الرجال ؟ إنها لا تحول غير الدولارات فلما سئلت تحويل الاسترلينى ذهبت تستشير وعادت مرحبة . . هذا شاب يريد العملة الأجنبية لشراء السجاير من محل لبيع المستورد بالدولار ، فثمة محلات لا تبيع الا بالعملة الصعبة ، ومحلات أخرى قليلة جداً تقوم بالتخفيض لمن يحمل إيصال استبدال العملة من البنك الأهلى الرومانى ، ويشترى بمائة لوى ، وأكثر بتخفيض ٢٠ ٪ .

---

(١) الدولار الأمريكى = ١٤ لوى Leu والاسترلينى = ٣ لوى تقريبا واللوى = مائة بانى Bani وهى عملة رومانية أيضاً .

فى السوق : إن الأسعار تكاد تتفق وما الفناء يصرف فى المصنوعات الجلدية مثلا ، والمأكولات عامة ، فبعضها يزيد زيادة كبيرة كملابس النساء حتى كانت موضع الدهش منا فى بلد اشتراكى (١) ، وأعمال الإبرة والتطريز مجال تتميز به بلوزات الحرير والمعاطف الصوفية فى رومانيا .

ولما كانت محلات البيع ملكا للحكومة بوجه عام فإن اللافت أن تجد فى واجهات المحل ما يدل على تخصصه فى الصنف الذى يبيع مثل كلمات « خبز » ، « خضراوات وفواكه » ، بلاج : أى مشتريات الصيف . آدم Adam أى ما يختص بملابس الرجال ، حواء Eva دون ذكر أسماء الأفراد .

على أن هناك بعض أفراد يبيعون المصنوعات الخشبية كأطباق الزينة وتجد عندهم المساومة فى حالات قليلة جداً . وفيما عداها فإن الثمن محدد فى مدن رومانيا جميعا مما يدعو إلى الاطمئنان المشترى . وغالب هؤلاء من سكان الجبال يصنعون فى الشتاء ويهبطون إلى المصايف للسائحين ، وقد تجد منهم من تعجبه مظلة سالح أو سوار ذهبى فى معصم أجنبية . فيتهافتون توسلا لشرائه بثمن زهيد ، وقد رأيت من أعجبت بصورة انهر النيل فاذا هى تضعها بالمحل فى مكان بارز شاكرة لرفيقى دون أن تستأذن أول الأمر : ألفة محببة لا شك .

وترجع شهرة رومانيا بالحرف اليدوية التى تتميز بالألوان الدافئة والعميقة كالنقش على الأيقونات الزجاجية إلى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهم يذكرون أسماء لمشاهير الحرفيين : ماتى تمفريا ، سافوموجا ، لون بوب .

---

(١) جاكيت حريمى مطرز مثلا يعادل ٤٠ جنيها مصريا ويزيد .

والوقوف فى صفوف شىء عادى ، لايثير اشمئزازاً أو ضيقاً كما نرى أحيانا فى مصر لقد تعود الشعب النظام ... أما عندنا فبلدنا رخاء منذ قديم فإذا شح وجود صنف بسبب الحرب تكالب الناس على المعروض منه خشية فوات الحصول عليه ، ويكثر النهازون ، ويزيد الاضطـــراب فى الصف ، ويعلو الصراخ فى رغبة جامحة طامعة .

والصف هناك من اثنين فصاعدا وقد رأيت رفيقى رحلة ينظران الى المعروض أحدهما خلف الآخر بقليل ، وكاد الاخير يلتحم بالصف الواقف للشراء فأنت أمرأة لتقف وراء زميلنا المصرى ظنا منها أنه فى الصف ... للقائية عجيبة .

وطريقة الشراء فى جميع استهلاكى المواد الغذائية مثلا أن تدخل من باب فتجد سلالا من بلاستيك صغيرة تتناول إحداها وتجول فى المجمع تأخذ منه ما تريد من شاى - وهذه الكلمة بالرومانية أيضاً منتقلة من لغة جزر ماليزيا التى كانت المصدر الأول لهذه المادة ـ فلفل أسود - معلبات .. وغيرها وبكل منها الثمن .. وتتجه إلى الخزينة فيجمع لك المختص مايبغى دفعه عنها جميعا ثم تفرغ السلة وتضعها قريبا من باب الخروج وغالبا ما يكون المشترى يحمل حقيبة خاصة لوضع حاجاته بها دون أن يقوم المحل بعبئتها توفيراً للورق .

ومما يتصل بالنظام حسن الذوق، بل إن الذوق هو الأصل ، فما احتككت عفوا بسائر فى الطريق مزدحمة حتى كان بادئا بكلمة الاعتذار ، إنه ذوق مظهره التعبير الجيد .

وفى الحدائق العامة من الذوق والتنسيق ما نشير اليه ، إن انتشار التماثيل فيها عمل طيب يبرز القيادة التى حكمت وشكلت من سلوك الناس وطبائعهم وأفكارهم

الشيء الذي لا ينكر ، وقد شدني في كونستانتسا أن أعرف شيئا عن «أفيديو» الشاعر الروماني رافعا هامته وقد وضع ذقنه وصدغه في كف يسراه مسلطة إلى اليمنى ينظر ويفكر بينما مرت بتماثيل الساسة وقد كتب على قواعدها سنو المولد والوفاة دون انجذاب اليها .

دور العبادة : وفي ميدان « أوفيديو » بكونستانتسا أو قريبا منه تجد مسجداً(١) وكنيسة ومتحفا يونانيا وآخر رومانيا ، ولم نجد غير هذا المسجد وآخر في « مانجاليا » مبسط في بنيانه كما هو مبسط في تعاليمه — أما العاصمة نفسها فليس فيها مسجد وما أن تدخل المسجد في مانجاليا حتى يتلقانا الخطيب بكلمات مشتاق أن يقولها لكل أحد دون أن يعرف دينه .. هي شهادة التوحيد ومحمد وعمر وعثمان وعلي والحسن .. ثم لا يعرف غيرها بالعربية فإن شئت كلمك بلغته التركية . وقد أخذنا المرشد على عجل دون أن نتمكن من صلاة الجمعة فيه على قرب موعدها ، لقد أحسست منه بعض التعصب ألا يدلنا على شيء من هذا المسجد غير أن بنته امرأة تدعى «أسمهان» في القرن الرابع عشر لقد قلت « التعصب » ربما ظلمته بهذه التهمة ، ففي براشوف ندخل الكنيسة السوداء — هكذا اسمها — متى أنشئت ؟ سنة ١٣٨٣ م ثم لا يزيد على أنها سميت بذلك لحريق أصابها في القرن السابع عشر .

---

(١) ذلك أن كونستانتسا وما يليها جنوبا جزء من (دبروجة) — هضبة بين الدانوب الأدنى والبحر الأسود — التي كانت تحت حكم الاتراك . وقد أعلنت بلغاريا استقلالها عن تركيا سنة ١٨٧٨ م واسعولت رومانيا على شمال دبروجة ١٨٧٨ م وعلى جنوبها سنة ١٩١٣ م بعد هزيمة بلغاريا في حرب البلقان الثانية . وبالرغم من هزيمة بلغاريا في الحرب العالمية الثانية فقد استردت دبروجة الجنوبية سنة ١٩٤٠ م .

وعلى بعد نحو مائة كيلو متر من سيبى Sibiu فى طريق زراعى جبلى دير كوزيا Cozia الذى أنشىء سنة ١٣٨٦ م يدهنا المرشد ندخل معحفا دون إيضاح ما به من صور فى القرن السابع عشر ، ومخطوطات مسيحية، ومباخر، وكاس المناولة .

ربما كان السبب خفة العقيدة الدينية عنده أو فى شباب الغرب عامة ، أو الجهل بأخبار هذه الآثار وإن كانت ملاحظتى فى دير كوزيا أن التأثر الدينى بدا واضحا جداً فى وجوه الشيوخ الذين كانوا يصلون يوم الأحد . بركون، يبكون ، فى شغل عن المار أمامهم أو بجوارهم ، ولكنك قد تشغل عن النظر إلى الكنيسة بالنظر إلى هؤلاء . إنهم يبحثون عن الله . المجيب المضطر إذا دعاه .

إن حرية العبادة مكفولة للأفراد وأكثر الكنائس انتشارا فى رومانيا الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية.

الشباب : وفى الصورة المقابلة . فى الحدائق والمتنزهات قد نجد شابا يحاصر فتاة .. شىء عادى أمام المارة ، ولهذا لا يلتفتون اليه ، على غير الشأن فى البلاد الإسلامية عامة ، إن لمسة يد فتاة من أجنبى لا ترضى بها فتاة محترمة ، أمام العيون خاصة .

ولعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن رومانيا كانت سباقة فى كشف الحقار الطبى هـ ٣ وكان له دوى وشهرة مقترن بصاحبة الاختراع الدكتورة الرومانية أنا أصلان فهذا الحقار يعيد الشباب إلى الشيوخ .. أمنية غالية منذ القديم .

وقد قام معهد أبحاث الخلايا الألمانية السويسرية باضافة أنواع اليه من فيتامينات وأملاح وغيرها كما طورته العالمة الرومانية وأصبح اسمه اكس ٤ ولايزال الاهتمام بهذا الأمر الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فالشباب والجنس حياة كثير من الناس أو قل هما الحياة ، ومن أمثال الرومانيين ما ترجمته الملابس والخبز والجنس هي الحياة الرغيدة بل إن كلمة الخبز تكاد تتفق في نطقها وأعضاء الجنس في اللغة الرومانية فيما حدثني أحد المصريين .. إلا إذا كان اشتبه عليه فكشف عن أعماقه.

وفي أحد الفنادق بما مايا تستقبلنا عاملة عجوز في مرح الشباب فكان أول سؤال : هل أنت عزب ؟ هل ستقوم بالسباحة في البحر ؟ فأخبرها . نعم فتزد في ابتسامة : Good ! مع غمزة من عينها أفهم منها : إنني «أعرف» شقاوة الشباب . وتمضي في سرور محضرة فوطة وبعض النشرات السياحية . فأسألها بالإنجليزية اذا كانت تحضر أيضا Soap فلا تفهم معنى الكلمة فأقترب من الحوض مع حركة من الحكيين تشير إلى غسلها فتنطق على الفور صابون. هكذا كما تنطقها بالعربية ، نعم إنها بالرومانية أيضاً . مع ضمة من الشفتين أكثر .

* * *

اللغة الرومانية .

وتبين لنا أن كلمات نعرفها بالعربية هي أيضاً في اللغة الرومانية ككلمة شراب التي تنطقها بالعامية ونقصد بها الجورب هي عندهم بالمعنى نفسه بضم الشين ، وصندل وحمال Hamal وخريطة Harta وكبريت .

ويطلق على محل السجاير Tutungerie ، وتوتن بالتركية تعني الدخان .
ومن المأكولات فاصوليا Fasole ، أرز orez ومن أثاث المنزل إبريق un ibric ، ودولاب un Dulap ، كنبة O canapea إلخ - وإذا كانت اللغة الرومانية لاتينية الأصل [١] فقد اغتنت خاصة بعناصر سلافية وقد تسرب إلى لغة رومانيا عدد كبير من مفردات الشعبتين الصقلبية والمجرية لما أحاط بها من جميع جهاتها من أمم صقلبية اللسان أو مجـــرية على حين أن أخواتها اللاتينية الأصل (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية . الخ ...) لم تكد تتأثر بهذين اللسانين وذلك لأن رومانيا قد انعزلت عن أخواتها اللاتينية [٢] .

وابتداء من القرن التاسع عشر اقترضت الرومانية عدداً من الكلمات ذات الاستعمال العالمي للضرورة العلمية والفنية .

بوخارست : Bucuresti

نعود إلى بوخارست تلك المدينة التي تنمو أفقياً ورأسياً . إن عمرها الذي تثبته الوثائق كما يقول المرشد السياحي أكثر من خمسمائة عام ولكنها تبدو شابة في شوارعها العريضة التي تكتنفها الأشجار ومبانيها الأنيقة التي لا تجور على الرقعة الخضراء ، فالمساحة المخصصة للمباني ١٦٢ كم٢ أي تزيد على سدس مساحة بوخارست بقليل [٣] وهم يميلون لهذا الغرض إلى الارتفاع في المباني حيث يوفر كثيرا من التكاليف ، ويوفر كثيرا من مشكلات المرافق العامة والمواصلات . ويثبت سعر الأرض .

(١) بمعنى احتفاظها بالتركيب النحوي والمفردات الأساسية للغة اللاتينية.
(٢) اللغة والمجتمع - دكتور علي عبد الواحد وافي - ط ١٩٧١ . القاهرة.
(٣) مساحة بوخارست ستمائة كيلو متر مربع .

جولة حول المدينة . مبنى الجامعة ، مطاعم ، فنادق ، مبنى اللجنة المركزية العليا للحزب الشيوعي ، وأمامه فضاء في الطريق منعنا الشرطي أن نعبر عليه . . وفيها من دور السينما نحو سبعين فضلا عن المسارح وصالات الحفلات الموسيقية وأنديتها الليلية الساهرة حتى قبيل الفجر .

إن بوخارست على بعد ستين كيلومترا من الدانوب ، ومائة كيلو من مرتفعات الكربات ويذكر المرشد أن نهر الدانوب يعتبر ثاني نهر في العالم ، (لعله نسي نهر النيل فهو الثاني بعد المسيسبي) ،وهو يمر بثماني دول ، ولكن أكثر مروره برومانيا بطول قدره ألف وخمسة وسبعون كيلو مترا .

سيبي : Sibiu

وكان من برنامج الرحلة أن نمضي أياماً في بوخارست ثم نزور الجبال الرومانية ، ولكن بوخارست فيما قيل ليس فيها أماكن خالية بفنادقها ، لقد تفتق ذهن المسئولين على أن نقطع كيلو مترات عديدة . . عديدة إلى سيبي أهم مدن حوض ترانسلفانيا في رومانيا لماذا ؟ لكي نبيت فقط . إن هذا السبب لا يقنع فريق الرحلة ، فيقولون فلا يدخل في ذهن مثلا أن يتنقل سائح من القاهرة إلى الاسكندرية ـ والاسكندرية ما هي ـ للمبيت فحسب ، لا بد أن يستمتع بجو يختلف عن جو القاهرة وآثار لا يراها فيها أو وسائل ترويح لا يجدها في القاهرة . . أو غير ذلك مما يثير تطلعا ، ولكن المرشد لا يظهر لنا على شيء من هذا في سيبي . . إنما هي جولة حرة .

وتسوقني قدماي إلى حيث لا أدري الهدف إلا أن أمضي وقتا في بلد غريب:

مشيناها خطى كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطى مشاها

هاهو شرطى قد رأى منى تأمل الغريب فيستوقفنى مستفهما : إنجليزى أنت فأقول : مصرى ، فيرفع حاجبيه دهشا قائلا : good .

إن كلمة الاستحسان هذه أحس بها تملأ صدرى إنشراحا هل يعرف الشرطى انتصارنا فى رمضان ؟ هل يعرف حضارتنا ؟ لابد أنه يعرف شيئاً من هذا .. قد يكون قالها كلمة عابرة تحية لسائح . ولكن هذا الاحتمال لا يبادر إلى ذهنى فى ذلك الوقت ... بل إنى أحس أن حراسته وجهت إلى على بعد كيلو مترات حتى رأيت محطة السكة الحديد فتذوب مشاعرى فى الناس .. يقطعون التذاكر ، وقوف وجلوس ينتظرون ، يحرون ، وحدى غريبا لايفهمون منى لغة ولا أفهم منهم ، ولا أحاول . فالنظر وحده متعة فى بعض الأحيان .

هاهو بائع لورق النصيب يرطن بلغة لا أعرفها ولكن يصدر بين الحين والآخر عن كلمة جميل وقعها عندى « صلاة النبى زين » وقد تكون فى غير موضعها ، لكنه فى ندائه الهادىء يستوقف بعض المارة للشراء بشىء من الأمل ، قد لايكسبون فينصرفون وفى النفس حسرة ما أغنام عنها لو لم يؤمنوا بورق النصيب وآمنوا بأنه ما كان لهم لن يخطئهم وقد يكون فى الوجه أحياناً ما يدل على عدم الاهتمام بالكسب . ولكن المشترى يعبث .. أو يزجى فراغا وحسب .

أدخل أحد المحلات لشراء الهدايا فيعجبنى توافق الجمال فى البائعة والمبيعات فتستفز لى ما تثير العين به . ولانفسى سبيل من أجله .. وقد وددت أن يمتد حديث بينى وبينها وهى تتحدث الإنجليزية بوضوح ، ولكن حان موعد إغلاق المحل وغدا الأحد .. موعدنا لمغادرة سيبى .

في الكربات Carpathi :

لنطلق بسيارتنا إلى مناطق الجبال الرومانية :

١ ـ سينايا : وهم يطلقون عليها في إعلاناتهم لوثوة الكربات، ارتفاعها ٧٩٠ ـ ٩٧٠ متراً ، وهي على بعد ١٢٧ كيلو متراً من بوخارست ، وخمسة وأربعين كيلو متراً من براشوف ، وبها ينابيع المياه المعدنية .

ولعل القارىء يبادر إلى ذهنه مثلي حين يقرأ الحروف اللاتينية Sinaia أن المقصود شيء ينسب إلى سيناء مصر ، وقد قيل إن أحد نبلاء رومانيا زار سيناء سنة ١٦٣٠ م وأخذ الطراز المعماري لدير سانت كاترين فيها لتبني كنيسة على طرازها في بقعة من رومانيا أطلق عليها كلها اسم سينايا « نسبة إلى سينا (١) .

٢ ـ بريدال predeal ارتفاعها ١٠٤٠ ـ ١١٠٠ متر ، وهي على بعد ١٤٧ كم من بوخارست ، وخمسة وعشرين كيلو متراً من براشوف .

٣ ـ بويانا براشوف poiana Brasov ارتفاعها ١٠٤٠ متراً ، وهي على بعد ١٧٥ كم من بوخارست وثلاثة عشر كيلو متراً من براشوف Brasov أحد المراكز الصناعية الأساسية في رومانيا .

وفي برنامج رحلتنا زيارة قلعة Bran التي بنيت في القرن الثالث عشر بينها وبين بويانا براشوف خمسة وأربعون كيلو متراً قطعتها السيارة في نحو ساعة من الزمان ، وبينها وبين براشوف ٢٨ كم وفي الطريق إلى القلعة قرية المانية تتميز ببيوتها الواطئة وأبوابها العريضة ، وخوخة جدار الباب ، منطقة هادئة تدب الحياة فيها بنفر يبيع نماذج خشبية للقلعة وشيلان صوف مما يتميز به سكان الجبال

---

(١) جريدة الأهرام في أول ديسمبر ١٩٧٤ .

وقد يختلف النظر فى أيها أجمل جبال لبنان أو إيطاليا أو رومانيا فبعضهم يرى الأخيرة أجمل وعندى أن يد الإنسان الصناع أوضح فى جبال إيطاليا، وجبال لبنان إذا شبهت بفتاة أنيقة رشيقة فجبال رومانيا تبدو امرأة مترهلة الجسم، ها نحن نرى فيها قطارا للبضائع ، وبيوتا متناثرة هنا وهناك ، من دورين . . تلك نظرتنا سريعة . وعلى البعد .

وعلى الجبل فى الطريق إلى براشوف مساء تجـــد المصابيح قد أضاءت كحبات من الماس مقبعث ضوءها من البيوت والطرقات .

ونبيت ليالى بفندق Sport فى بويانا — براشوف ، قريبا منه يوجد مجرى مائى أشبه بحوض سباحة كبير يسفل ماؤه فى النزهة بقوارب صغيرة وعمقه نحو سبعة أمتار . وهو منظر فطرى لا تجد فيه من صنع الإنسان شيئا يضفى عليه جمالا .

وينتشر نوع من الشجر يدعى Brad يزرع خصيصاً فى الجبال كما يقول المرشد ويظل أخضر طوال السنة ولو نزل عليه الجليد ، فروعه أشبه بمروحة به .

وقد أصبحت بمنظر لو وجدناه فى القاهرة أمام فندق سياحى لانتقده الراقى انتقاداً مرا . . قطيع من الغنم والبقر والجاموس يرعى أمام فندق sport . . لقد وصلنى هذا المنظر بالبيئة العربية التى أوحت لزهير بن أبى سلمى بقوله :

بها العين والآرام يمشين خلفة . . وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

إنه يتحدث عن البقر الوحشي والظباء خالصة البياض ، ولكن المنظر أمامنا قطيع من الخراف بيضاء اللون .

إن وجه الشبه ما يحس به المرء في الصورتين من البعد عن التفكير والسعي في تلقائية ، إنه إحساس مريح في بعض الأحيان ، ولكن لا يعيش إنه عظيم في كل الأحيان ، كما لا تعيش أمة في إسار حديدي منغلقة عما حولها من الثقافات والنظم .

وقد أدركت رومانيا ضرورة الانفتاح على العالم فبعد أن كانت علاقاتها سنة ١٩٤٧ مع خمس وعشرين دولة (١) نظمت علاقاتها مع أكثر من مائة دولة في المجال الدبلوماسي والاقتصادي كما أقامت علاقات علمية وثقافية مع أكثر من ثلاثمائة منظمة حكومية أو غير حكومية في القارات جميعاً .

نعود إلى بوخارست ، وفي خاطري أن بلاداً حباها الله بالطبيعة الخلابة جديرة بأن يعيش أهلها سعداء إذا ساروا على سنة العدل في توزيع الدخل القومي حسب العمل وما يقدمه كل منهم لبلده خالصاً لوجه الله .

وبعد يومين تطوي بنا الطائرة أجواز الفضاء في نحو ثلاث ساعات من بوخارست إلى القاهرة . . وما أقرب ما بين الشعوب .

---

(١) الأهرام في ٢٣ / ٨ / ١٩٧٤

ويعتبر يوم ٢٣ أغسطس عيدا قوميا في رومانيا تعطل فيه الأعمال الحكومية .

المقالة السادسة

لبيك حجا

بين يدى الحج :

كانت لفقة كريمة أن يعطى السيد مدير عام الجمارك [1] توجيهاته بأن يندب لمأمورية الحج زملاء لم يندبوا الأعوام الماضية.

وتوجيه المدير العام نبع من سياسة الدولة فى عهد مبارك إن شاء الله ، فقد كسبنا جولة الحرب والسلام مع اسرائيل أو كدنا نكسبها تماما ، ولم يبق إلا أن تستريح النفوس وتعمل فى طمأنينة لا تكالب على مغنم رخيص تكالب القطط الجائعة على أشواك السمك :

والعجب أن ظلنا ننادى بتكافؤ الفرص مبدأ من مبادىء الاشتراكية ولكن الرأى العام الجمركى لم يستطع أن ينادى بتكافؤ الفرص فى بعثات الحج أو نادى ولم يجد نداؤه شيئا .

وقد ظل الحج بالقرعة ، وتحايل أناس كانت الحقيبة التجارية همهم الأكبر يبيعون ويشترون فظهر الحج العادى والحج السياحى بتكاليف أكثر ، والحج بدعوة بلا تحويل عملة مصرية إلى سعودية إلى أن ألغيت القرعة هذا العام (١٣٩٥هـ) واستعدت شركة الطيران المصرية لتدافع الناس كما يتدافعون لليل سلعة بالبطاقة التموينية فإذا الأمر على غير ما توقعت واستعدت فقد اطمأن الناس

(١) رقى وكيلا لوزارة المالية لشئون الجمارك بعد عودته من الحج .

أوزادوا إيمانا بأن الأمر بيد الله من قبل ومن بعد إن شاء كتب لهم حجا مبرورا « وجاهدوا في الله حق جهاده،هو أجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » (١)

ومنذ أن دونت اسمي فيمن يريدون الحج أحسست أني في الحج فعلا فمسئولية الحاج أن يحفظ لقب « الحاج » عظيما لا يشير سخرية بين ضعاف الدين حين يرون من أدى الفريضة لا يعرف منها غير شكلها .. إنها مسئولية جهاد النفس .

وحين يكثر الحاج في مصلحة حكومية كالجمارك تكون هذه الكثرة مؤشرا إلى صلاح بدأت تعرفه — أو هكذا المفروض — بعد أن انهالت أقلام الكتاب في الشهور الأخيرة طعنا في ضمائر الحركيين عامة .

وحين يكون الحجيج من الشباب فإن هذه الظاهرة تكون مبعث سعادتنا وغبطتنا بعد أن استقر في الأذهان أن الحج لكبار السن بعد أن يعبوا من لذائذ الدنيا عبا .

ولقد تعودت أن يكون المصحف الشريف قريبا من عيني في حجرة نومي لكيلا يتخذ مهجورا أتصفحه،وقد أكتفي بآية كيفما أتفق فإذا هي بشير أو نذير يكون له أكبر الأثر في النفس أبدأ بها يومي أو أنهيه أو أتوسطه .

وقد فعلت كما تعودت ، وأنا أعد حقائبي للسفر ، استغفر الله . حقيقة للسفر فلست ميالا لكثرة الحقائب فاني أحب أن أتخفف في هذه المناسبة

---

(١) الحج ٧٨

خاصة . فإذا صفحة المصحف على سورة الحج أقرؤها كاملة [١] ، إنها تبدأ بوعظ الناس كافة بتقوى الله « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » .

إن خروج الحجيج جماعات جماعات يذكر بهذا اليوم ، ويذكر بالبعث الذي تتناوله آيات من بعده .

وتنتهي السورة بأمر تستقيم عليه الجماعات هو « فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » . . فكان « النصير » في آخر السورة هو المطلب الذي يريد الناس في زلزلة الساعة كما تحدثت السورة في أولها .

* * *

في يوم التروية : تتجه إلى مطار القاهرة فأفضي إلى بعض صحبي بهوى النفس إلى الكعبة فيشاركني هذا الشعور قائلا إنها دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

« ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون [٢]

---

(١) ونحن لا نفتح المصحف لنتفاءل تفاؤل العامة بالمصحف وآياته مما يعيد إلى الذهن عادة من عادات الجاهلية الأولى مع أن الأسلام طهر هذه العقيدة العاطفية السخيفة إلى غير رجعة وإنما هو هدى للمتقين.

(٢) إبراهيم ٣٧

ونحرم ثم تحلق الطائرة إلى جدة والشوق يدفعنا إلى مكة لنطوف طواف القدوم والسعي ، لم يبق إلا نهارنا الذي نحن فيه، فغدا وقفة عرفات [١] بذلك الوادي الفسيح الذي يبعد عن مكة نحو ٢٥ كم، ويتسع لأكثر من مليون ونصف حاج هم عدد زوار بيت الله هذا الموسم فمساحته نحو أحد عشر كم مربعا .

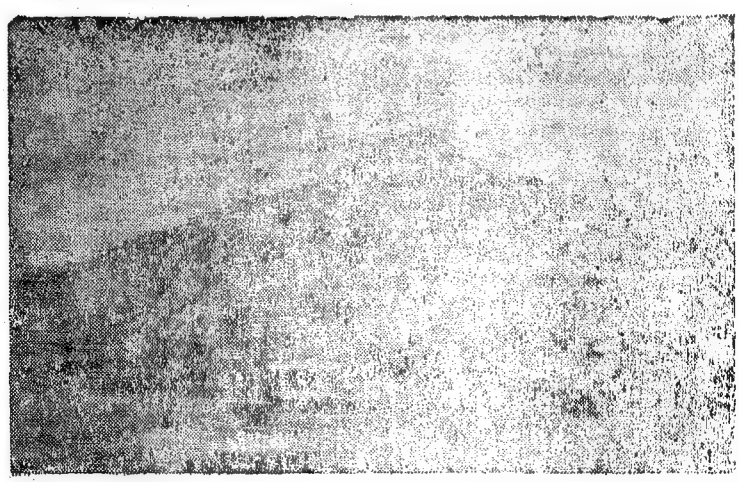

إلى جبل عرفات

في عرفات :

لقد كنا في عجلة من الأمر نسيت معها أن أشتري غطاء ألتحف به ، ولا يخلو

---

(١) وافق الخميس الحادي عشر من ديسمبر ١٩٧٥ ويسمى اليوم الثامن من ذي الحجة يوم « التروية » ولعل تسميته بهذا الاسم ترجع إلى أن الناس كانوا يأخذون فيه الماء من ذي المجاز ليتزودوا منه بعرفة والمزدلفة حيث لم يكن يوجد ماء فيهما، وإذا وافق يوم عرفة يوم جمعة فلا جمعة في هذا اليوم .

الجو من برودة . ولكن قوى النفس أمضى من الجو الخارجى إذا صدق العزم . ونمنا ليلة الوقفة فى مسجد نمرة وفى الصباح نتجه إلى جبل الرحمة نصعد إليه على قدر الطاقة واكتفى بالصخرات الكبار أسفل الجبل بينما ظل بعض الرفاق لايصعدون ، فعرفة كلها موقف . داعين بما نشاء نبتهل إلى الله ملبين: « لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لاشريك لك »

إنها كلمات التلبية التى لم نفارقها منذ غادرنا القاهرة ، تحمل الوحدانية والحمد على نعمة الأسلام وهى أكبر النعم ، وقدرة الله على كل شىء .

إن رد الملائكة على الصالحين « لبيك وسعديك » أما غيرهم الذين قاموا إلى الحج بالمال الحرام فترد الملائكة على كل منهم « لا لبيك ولاسعديك » لابد أن يعرف الناس هذا ليقل عدد الركب إلى البيت الحرام ، فيأخذ الصالحون مكانهم إليه .

إلى المزدلفـــة :

نجمع فى عرفة بين صلاتى الظهر والعصر جمع تقديم وقصر حتى إذا ما غربت شمس التاسع من ذى الحجة لاينتظر الحاج صلاة المغرب ، فالسنة أن يصليها بمزدلفة مع العشاء جمع تأخير بأذان واحـــد وإقامتين ، أفواج تأخذ الطريق على الأقدام ، فالمسافة بين عرفة ومزدلفة نحو اثنى عشر كيلو متراً بينما تركب أفواج أخرى السيارات ، لاحوادث حيث حدث كثير من الحوادث يظن أن يقع فى هذا الزحام المتلاحم ، إلا إذا استثنينا القليل أن تفرز سيارة فى رمال جنحت إليها .

وفي مزدلفة نفترش الأرض فلابد أن نقيم فيها شيئاً من النصف الثاني من الليل وإلا كان علينا ذبح فدية ، نجمع الجمرات تسعا وأربعين ، ونزيد عليها ما نحتاط لدخشية فقد بعضها وأهم أن أنظفها مما علق بها من طين فأتذكر أنها لرمي ابليس فأبقى عليها مادامت لاتحمل نجاسة (١) .

ونصلي الفجر في مزدلفة ثم نقف بالمشعر الحرام ، وهو تل صغير آخر مزدلفة يسمى قزح ، ندعو الله عملا بالآية الكريمة « فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » (٢) .

في يوم النحر :

وقبل أن تطلع شمس العيد ننتقل بالسيارات إلى منى - بكسر الميم ، ويطلقها العامة بالضم كأنها عندهم جمع منية - ويسلك السائق بطن محسر - بكسر السين وتشديدها -، وهو الحد الفاصل بين مزدلفة ومنى ، ومحل هلاك أصحاب الفيل ، ونطلب إلى السائق أن يصل بنا إلى السبيل المصري حيث يقيم الحجاج المصريون ولكنه يعتذر بأن حريقا شب قريبا منه .. لقد كنا رأينا آثار الدخان في الطريق فظننا أن الأمر يسير ولكنه كان أبعد مما نتصور فقد انفجرت أنابيب البوتاجاز في الخيام المنصوبة فأتت على من شاء الله ، وماشاء الله من أمتعة الناس وسياراتهم . ولله في خلقه شئون فنقنع بأن نفترش الأرض

---

(١) إذا رمى حاج بمتنجس أجزأه وندب أن يعيد بطاهر .

(٢) البقرة ١٩٨

كما افترشناها الليلة السابقة ، ونصلى الظهر فالعصر بمسجد الخيف هنى ثم نأتى إلى جمرة العقبة لنرمى فيها سبع جمرات مكبرين مع كل حصاة :[١] .

وقد أحس بسداد الرمية عند كل حصاه فأنا ألقى بها عدوا بينا يتمثل لنا فى هذا الموضع : إنه الشيطان الذى نصفه غالباً بالرجيم ، نرجمه فنحس الراحة بحق ، أنظر إلى الناس فى حماسهم فأحس هذا الشعور فيهم ، ولو نسب الإنسان إلى نفسه ـ دون الشيطان ـ كل خطأ أو خطيئة لهلكت نفسه ندما وحسرة ، لابد أن ينسب الشر إلى شىء خارج النفس يوعز إلى النفس ويغريها .. إنه الشيطان .

يحلق الحاج الشعر أو يقصره قائلا : اللهم هذه ناصيتى بيدك : والتحليق أفضل فهو من أبلغ أنواع العبودية ، ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه وأطلقوه [٢] ، وقد عد الشافعية حلق الشعر أو تقصيره ركنا من أركان الحج لا يتم إلا به [٣] .

وفى اليوم التالى نرمى الجمرات الثلاث مبتدئين بالجمرة الدنيا ـ وهى التى تلى مسجد الخيف ثم الوسطى ثم العقبة .. كل جمرة سبع حصيات مع « بسم الله والله أكبر » مع الدعاء بعد الرمى ، الأول والثانى .

ها هو رجل استخف نفسه واستظرف مع رفاقه المضربين يرمى للسبعة مرة واحدة لماذا السبعة ياهذا والواجب أن ترمى الحصيات متتابعة؟ وددت

---

(١) والأصل أن ترمى الجمرة قبل الزوال .

(٢) الطب النبوى ص ١٢٥ ابن القيم .

(٣) الأركان الأربعة قبله الإحرام ، طواف الإفاضة ، السعى بين الصفا والمروة ، الوقوف بعرفة .. الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٥٥ .

أن أنصحه أنه لو رمى أكثر من واحدة فى مرة واحـــدة حسب ذلك واحدة [١] ولكن أجنى حمقه ، ولعلى أخطأت فى عـدم إسداء النصح .

كما نهى رسول الله ﷺ - أن تكون الحصاة كبيرة فلا مغالاة فى الدين .

وقد كنا نسمع من يرمى بالنعال وإن لم نر هذا المنظر وهو مايجعلنا نشير إلى أن الرمى الواجب بشىء من جنس الأرض [٢]

بقيت معنا إحدى وعشرون حصاة نرمى بها الجمرات الثلاث: الدنيا والوسطى والعقبة على الترتيب فإن عكس حاج هذا الترتيب سن له إعادة الرمى [٣] ، فنظل بعد منتصف الليل لنرميها كما فعلنا فى اليوم السابق ، وقد تعجل الرفاق إلى مكة كما يقول الله « فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه » [٤] ولكنى أحببت منى وزادنى شوقا إلى البقاء فيها خشية ألا نعود إليها، والحج فرض مرة واحدة برغم ماهى فى حاجة إليه من زيادة دورات المياه مثلا وإنشاء المنازل المريحة لأفواج الحجيج وحبذا لو تضافرت جهود الحكومات للنهوض بالمرافق العامة جميعا ، وقد بذلت الحكومة السعودية جهدا هذا العام بإقامة جسر يتمكن الناس به من رمى الجمرات فى يسر ، وأزالت المبانى التى كانت قريبا من الجمرات فاتسعت الطريق للقادمين ..

* * *

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٧٣ - ط . الشعب ١٣٨٠هـ - القاهرة

(٣٧٢) المرجع السالف ٣٧٤

(٤) البقرة ٢٠٣

مكة والتوحيد : نذهب إلى مكة لنطوف البيت المعمور طواف الإفاضة ، وإذا الرفاق يتعجلون أيضاً الذهاب إلى المدينة المنورة فيظهر صوت إن المال معنا قليل ، ولهذا لم نسق هديا ، وأدينا الحج بنية الإفراد ، والصلاة في المسجد الحرام أضعاف أضعاف الصلاة في المسجد النبوي ذلك إلى أن الركعة في المسجد الحرام تعدل مائة ركعة في المسجد النبوي كما أن زيارة المدينة المنورة ليست من مناسك الحج وقد سبق زيارتها ، ونأمل أن نزورها في قابل أيامنا فيقتنع بعض الرفاق بهذا المنطق بينما غذ بعضهم المسير إلى المدينة المنورة شوقا إلى مناجاة الحبيب المصطفى — ﷺ — برغم تكاليف الانتقال وفي الذهن حديث شريف « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » وبيته هو مدفنه — ﷺ — والشيء المؤكد أن الرسول — ﷺ — رأى في هذه البقعة التي حددها من راحة النفس ما وصفه بأنه جنة أو روضة منها ، فهل هي روضة لكل زائر وكل مصل في هذه البقعة ؟ (١) إن الأساس هو قلب

---

(١) يقول الأستاذ محمد حامد الفقي إن حديث « ما بين بيتي ومنبري .. » واقعة حال يصف فيه الرسول — ﷺ — ما جلا الله له في ذلك الوقت الذي قام يخطب فيه يوم موت ابنه إبراهيم ، وصادف يوم كسوف الشمس ، فانتهز اليهود الفرصة وأشاعوا أنها كسفت لموت إبراهيم فغضب ﷺ لربه أشد الغضب فجلا الله فأراه الجنة في هذا الحين ما بين بيته ومنبره . ودعوى أنها بقيت كذلك روضة من الجنة لا يقوم عليها دليل .

مدارج السالكين — ابن القيم ٣/٢٤٩ « حاشية » :

وهو استنتاج للشيخ لا نعرف دليلا يسنده ،

والواقع أن كل ما يقرب إلى الله يعتبر سبيلا إلى جنة الله

المؤمن الذى يقترب من قلب رسول الله ، فيستوعب كتاب الله وسنة رسول الله استيعابا حسنا فهما وسلوكا وقولا .

وقد كنت ممن آثر البيت الحرام لأشبع من الطواف حوله ، تذكرت أستاذى ابن قيم الجوزية ووصف الواصفين له أنه حج مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه .

كيف قفزت سيرته إلى ذهنى على بعد نحو ستة قرون ونصف قرن من الزمان ؟ إنه قبس من السيرة المحمدية ، تستجلى النبوة فى سلوكه . ومن هنا كانت قوته وإمامته على مر العصور ، وما أجمل أن يكون الانسان عالما عابدا .

ومحور العبادة وأساسها شهادة التوحيد ، ظل رسول الله — ﷺ — فى مكة قبل هجرته إلى المدينة نحو ثلاثة عشر عاما يعلمهم ألا إله إلا الله ، وتشاء إرادة العليم الحكيم أن تكون مكة أيضاً ملتقى الحجيج من جميع بقاع الأرض على مر الأزمان ليقروا بالتوحيد ، قبلة واحدة ، يطوفون حول بيت الله لا اختلاف بينهم ، ثم يصلى الحاج عند مقام إبراهيم — عليه السلام — ركعتين يقرأ فيهما بعد الفاتحة « قل يا أيها الكافرون » رافضا عبادة الكافرين التى تخرج عن التوحيد و « قل هو الله أحد » التى تؤكد وحدانية الله .

ومن مبدأ التوحيد تكون قوة الفرد ، وعظمة الأمم ، إذ لا أهواء يكون الإنسان عبدا لها ولا مطامع تتوزع أفكاره وجهوده ، وإنما سعى دائب لله ،

يقول أحد طواغيت الاستعمار مستر سنوك « إن مكة المكرمة ليست مجرد مركز ديني ، ولكنها مركز سياسي أيضا للمسلمين ومنهم الإندونيسيون ، لذلك يجب على الساسة الهولنديين في إندونيسيا مصاحبة رؤساء الإسلام إلى تلك المدينة المقدسة ليعرفوا ما يجول فيها ، وما هي التعليمات التي يتلقونها »(١).

الدين وهوى النفس:

إنها تعليمات السماء يحسها الفرد مسلما خاضعاً لله ، ولا جدال في الحج ، ولا خصومة، ولكن أولياء الشيطان يخيفهم الشيطان من المسلمين في مكة ، والمسلمون أجدر أن يهابهم العدو بعد أداء فريضة الحج خاصة ، فهي الركن الذي يكتمل به بناء البيت الإسلامي . ولكن حال كثير من المسلمين أنهم يسعون إلى الحج ويشتاقون للعودة إليه استجابة لحظ النفس لا لحق الله كما حكى من بعض الصالحين قال : حججت كذا وكذا حجة .. فبان لي أن جميع ذلك كان مشوبا بحظي ، وذلك أن والدتي سألتني أن أستقي لها جرعة ماء فثقل ذلك على نفسي ، فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كان بحظ نفسي وإرادتها إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في شرع الله »(٢) .

أرأيت المعيار الذي اتخذه هذا الرجل الصالح لقد استطاع الحج مرات على ما فيه من مشقة ولم يستطع ما هو أيسر بكثير لأن في الأول هوى النفس

---

(١) إندونيسيا ص ٥٤ ـ محمود شاكر . الدار العلمية ـــ بيروت ط . سنة ١٩٧١ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٩٩ ـ ط . دار الكتاب العربي . بيروت هـ ـ سنة ١٩٧٣ م .

دون الثانية وقد أمر الله بها جميعا . نسألك اللهم العافية ، ونستغفرك ونتوب اليك .

نستقل الطائرة إلى القاهرة ، فنجد في استقبالنا الأخ سكرتير نادي الجمارك برفقة زميل آخر لتخرج أمتعتنا دون تفتيش جمركي ، لقد أحسن الظن بحجاج بيت الله وأتذكر يوم أرادت مجموعة من رجال الجمارك السفر لتأدية العمرة فاذا السيد وكيل الوزارة لشئون الجمارك يعطي تعليمات « أنهم سيخضعون عند العودة لإجراءات مشددة وسينظر في أمر المخالفين - إلى جانب ما هو مقرر في القانون الجمركي - بالنقل من مصلحة الجمارك (١) .

لقد تغيرت النفوس بتغير سياسة الدولة ... وكفى المرء سعادة أن يوثق به في أمر دينه ودنياه .

---

(١) صدر كتاب بهذا النص في ٩ / ٩ / ١٩٧٢ م .

و بعـــد :

فهذه رحلات إلى خارج القطر خلال أربـع سنوات من سنى الشباب مرتبة ترتيبا زمنيا حسب القيام بها ، رحلات سريعة من حيث الاحساس الشخصى ولكنى حين أمسكت القلم أدونها وجدت فى نفسى حاجـة إلى الأناة والصبر حتى تأتى الكلمة معبرة بالدقة الممكنة عن المواقف التى مررت بها ، ذلك أن كل موقف يستدعى المقارنة بنظيره أو نقيضه فى حياتنا بمصر وهنا قد يجتاح الانسان شعور بالإعجاب أو الإحباط فيفقده النظرة الموضوعية وقد جهدت ألا أفقد هذه النظرة وهو ما يمثل عندى سببا جوهريا فى إعادة الرحلة إلى بلاد زرتها من قبل .

غير أن كتابنا مع تكرار مافيه من الرحلات قد يجد فيه القارىء من التنوع ما يشوق لأنه صورة حياة فى بيئات مختلفة عربية وغربية ، اسلامية وغـير إسلامية ، تجارية وزراعية وصناعية ، فى الصحراء وفى الموانىء .

والكتاب محاولة لتقصى الحقائق العلمية والتاريخية فى الموضـوع الذى يتناوله مزودة بالخرائط والصور لكى يعيش القارىء الرحلة بفكره وروحه و بصره بعض وقته .

فاذا قال قارىء من بعد لقد أغنانى الكتاب ـ متعة وفائدة ـ عن الرحلة بنفسى فهذا نجاح ، وإذا قال آخر : أريد التجربة بنفسى ... فهو النجاح الذى ننشده .

المراجع

(نثبت بعض المراجع، وثمة غيرها نكتفى بايراده فى موضعه من الكتاب)

١ ـ أسباب النزول .

جـــلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (السيوطى)

ط التحرير بالقاهرة ١٣٨٢ هـ

٢ ـ الطبقات الكبرى .

محمد بن سعد (كاتب الواقدى) ط التحرير بالقاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م

٣ ـ الأطلس العربى .

رسم وطبع بادارة المساحة العسكرية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م

٤ ـ الموطأ .

مالك بن أنس . ط الشعب ، القاهرة .

٥ ـ أوربا فى مجرى التاريخ (دراسة جغرافية)

دكتور محمود جلال الدين الجمل . ط النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٩ م

٦ ـ الجامع الصحيح .

الإمام مسلم . ط التحرير القاهرة ١٣٨٣ هـ

٧ ـ تفسير القرآن العظيم .

عماد الدين اسماعيل (ابن كثير) ط . الحلبى القاهرة .

٨ - جغرافية أوربا .
توفيق سابق ، محمد مرسى أبو الليل . ط كوستاتسوماس الظاهر، القاهرة

٩ - جغرافية أوربا الاقليمية .
دكتور جودة حسنين جودة . ط جامعة الاسكندرية ١٩٧٠ م

١٠- رحلة ابن بطوطه « تحفة النظار »
ط التحرير ١٣٨٦ - ١٩٦٦ القاهرة .

١١- رحلة ابن جبير
أبو الحسين محمد بن أحمد (بن جبير) ط التحرير - القاهرة .

١٢- سفر السعادة .
أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروز بادى) .
ط صبيح ، القاهرة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

١٣- السفر إلى المؤتمر .
أحمد زكى - ط . الاميرية - مصر ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م

١٤- سيرة النبي
لأبي محمد عبد الملك (ابن هشام) ط التحرير بالقاهرة - ١٣٨٣ هـ

١٥- صحيح البخارى
لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (البخارى) ط الشعب ١٣٧٨هـ القاهرة

١٦- فى منزل الوحى .
الدكتور محمد حسين هيكل . ط مصر ١٩٥٧ م

١٧- مجموعة الرسائل الكبرى
لابن تيميه . ط صبيح ، القاهرة ١٩٦٦ م

١٧- مروج الذهب
أبو الحسن على بن الحسين بن على (المسعودى)
ط التحرير القاهرة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

١٨- مكة المكرمة
محمود الشرقاوى ط الاهرام ، القاهرة ١٩٧٢ م

* * *

تصـــويب

صفحة	سطر	
٤٢	٧	فى حقيبة
٥٥	١٧	وينتهى النظر كما تنتهى الحياة
٩٩	١٦	شريط حياة

إلى هنـا — نعتذر للقارىء عنها .

٦٢ — نهر الكلب — مغارة جعيتا (لبنان) .

(المقالة الرابعة) فى مهبط الوحى

٦٦ — زى الطالبات (أنظر أيضا ص١٠٣)

٦٧ — الابتلاء وسكينة النفس .

٦٨ — بدر : الموقعة والمعانى التى تزخر بها .

٧٢ — معاجاة الرسول (ﷺ) .

٧٣ — أبو بكر وعمر بن الخطاب — أهل الصفة .

٧٤ — إعانة للفقراء — حمام الحرم .

٧٥ — أخوة المؤمنين .

٧٦ — صحف المدينة .

٨٤ — قبر حمزة وصاحبيه .

٨٦ — مسجد الفتح — الغماية — آبار على .

٨٧ — بكة « أنظر أيضا ص ١٢٣ »

٩٥ — الصفا والمروة .

٩٧ — دلالات المسعى (تقدير الأمومة ، العمل الدائب ، الامتثال) .

(المقالة الخامسة) أيام فى رومانيا

١٠٧ — سكان رومانيا « أنظر ص١١٣ وما بعدها »

١٠٨ — المرأة فى رومانيا .

١٠٩ — مامايا .

١١٥ — كوتستانتسا — دور العبادة (أنظر ص ١١٦ عن الشباب)

١١٧ — اللغة الرومانية .

١١٨ — بوخارست (أنظر ص١٢٣) .

١١٩ — فى سيبى

١٢١ — فى الكربات : سينـايا ، بريدال ، بويانا ـ براشوف .

(المقالة السادسة) لبيك حجاً .

١٤٢ — فى جمارك مصر (أنظر ص ٤٣ وما بعدها ، ص١٣٥)

١٢٦ — فى يوم التروية

١٢٧ — فى عرفات

١٢٨ — إلى المزدلفة

١٢٩ — فى يوم النحر (رمى الجمرات بمنى ص ١٣٠)

١٣٢ — مكة والتوحيد .

١٣٤ — الدين وهوى النفس .

١٣٦ — وبعد

١٣٧ — المراجع

* * *

هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية .

* * *

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مؤلفات وطبعات

١ ــ الأدب فى حماسة أبى تمام (١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٤ م)

٢ ــ أساليب النفى فى القرآن (١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م)

٣ ــ العمل فى الإسلام (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م)

٤ ــ العقاد والمرأة (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م)

٥ ــ يوسف فى القرآن (١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م)

٦ ــ لقطات (١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م)

٧ ــ وفاء: من وحى حرب العاشر من رمضان (١٩٧٣م)

٨ ــ نظرات فى سورة النور (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م)

تحت الطبع

٩ ــ مع سورة الكهف

١٠ ــ الرحمن والإنسان والجن

« تفسير للسور الثلاث »

١١ ــ صور من حياة

١٢ ــ حواء فى كلمات وخواطر أخرى .

١٣ ــ العقاد . الرجل والقلم

١٤ ــ ابن القيم

١٥ ــ الاسلام والحق